تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

ماذا يراد بالمرأة المسلمة في زمن العولمة!؟

المفضل فلواتي رحمه الله تعالى ـــــ 2

واجب المسلمين نحو القرآن الكريم

د. محمد الآنصاري ـــــ 7

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المدير المؤسس
المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

المحجة

جامعة نصف شهرية

العدد: 396

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

18 ربيع الثاني 1434هـ - 01 مارس 2013م

3 دراهم

افتتاحية

بلسان عربي مبين

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الامِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(الشعراء: 192-195).

بهذا وصف الله تعالى كتابه المبين الذي نزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، ليثبت معجزتين عظيمتين :

أن محمدا بن عبد الله رسول من رب العالمين ورحمة للعالمين **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**، ولم يصفه رب العزة بأنه نبي «عربي»، ولكنه تعالى وصفه بأنه «النبي الأمي»، لتكون أميته إحدى المعجزات العظام التي أيد بها ﷺ وهو رسول إلى العالمين..

أن القرآن الكريم الذي أُنزل عليه، هو **﴿تنزيل من رب العالمين﴾** وذكر لهم، **﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾**. جعله الله تعالى **﴿قرانا عربيا﴾**، وأنزله **﴿بلسان عربي مبين﴾**. وهذا تنصيص واضح على أن القرآن الكريم وإن كان عربي اللسان فإنه ليس قومي الهوية، ولكنه رسالة للعالمين، لمن شاء منهم أن يستقيم.

من هذا المنطلق كانت العربية لسان أمة الإسلام على امتداد التاريخ، دونت بها آدابها وعلومها ومعارفها بجميع الفروع والتخصصات ولم تعجز. وأنى لها ذلك وهي لسان الذكر الحكيم - أن تعبر عن خيال أدبي أو حقيقة علمية، فكان علماء العجم النابغون فيها أو الذين كتبوا بها أكثر من علماء العرب، في المشرق والمغرب على حد سواء.

وبسبب هذه المكانة الشريفة للغة العربية، اعتُمد الحرف العربي أداة لكتابة لغات الشعوب الإسلامية لحفظ خصوصيات الثقافات المحلية، ولم يعجز هذا الحرف أيضا عن التكيّف مع الخصوصيات الصوتية والمعجمية لهذه اللغات، بل على العكس من ذلك اكتسب جماليات خاصة تبعا للغة المستعملة له، ووجدت نتيجة ذلك عدد من ألفبائيات لغات الشعوب الإسلامية كالفارسية والأردية والتركية والإيغورية والجاوية والسواحلية الإفريقية وغير ذلك، وكلها في أصلها حروف عربية. بل وحتى الإسبانية كتبت هي الأخرى في مراحل زمنية معروفة بالحرف العربي.

ثم دار الزمان دورته، فتم القضاء منذ بداية القرن العشرين الميلادي على الحرف العربي في مناطق عديدة من آسيا وإفريقيا ووضعت مكانه حروف أخرى من أصل لاتيني أو إغريقي أو غير ذلك، وبدأت أصوات تتعالى منادية بكتابة اللغة العربية ذاتها بالحرف اللاتيني، لتظهر بعد ذلك أصوات أخرى تنادي بالاستغناء عن العربية أصلا وفرعا، ووضْع مكانها لغات أوروبية أو لهجات محلية. كل ذلك في خطوات مدروسة لتحجيم الإسلام وتقليص وجوده على الأرض بمحو الآثار الدالة عليه.

ولكن يأبى الله إلا أن يتم نور العربية كما أتم نور الإسلام، لتعود الشعوب الإسلامية من جديد إلى تعلّم اللسان العربي الأصيل، ولتضع دول إسلامية خططا لتعميم تعليم العربية بشكل كامل، بل كان من فضل الله تعالى أن أقلبت شرائح وفئات واسعة من المجتمعات غير المسلمة في أوروبا وأمريكا وآسيا على تعلم العربية بشكل كبير.

واليوم إذ يحتفي العالم بعدة مناسبات أقرتها هيئات عربية ودولية، منها ذكرى شهر مارس، وظهرت إلى الوجود هيآت أخرى تداعت إلى حماية اللغة العربية مما ألحق بها أهلوها من التهميش والإقصاء، فإن المسلمين - ولا أقول العرب فقط - مطالبون ببذل مزيد من الجهود لإعادة صرح اللغة العربية إلى الوجود منيرا وضاء ناصعا كما كان عبر القرون، بعيدا عن كل ما يلوث صفاءه من الهُجنة المقرِفة، وليظل القرآن بيانا للناس، كل الناس، ورسالة للعالمين ورحمة وهداية لهم.

من صفات المتقين

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ـــــ 4

مفهوم التجديد وشروط المجدد

د. لخضر بوعلي ـــــ 5

أية المرأتين أحق بالشكوى؟ وأيتهما أوفر حقوقا من الأخرى؟ المرأة المسلمة أم غيرها؟

د. محمد التاويل ـــــ 8

حوار نسوي هادف

د. محمد أبياط ـــــ 9

مكانة المرأة في الإسلام

د. جميلة زيان ـــــ 10

العنف الأسري : واقع وآفاق

د. رشيد كهوس ـــــ 15

مَاذَا يُرادُ بالـمرأة الـمُسلمة في زَمَن العوْلـمة؟!

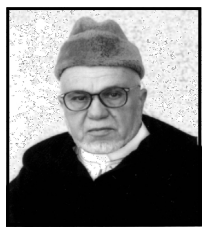

المفضل فلواتي - رحمه الله تعالى

1) **الإسلامُ أحقّ بالعوْلمة حقّا وصدْقا :**

الإسلام منذ نزل نزل عالميّا، والدليل على ذلك أن السُّور المكيّة والتي هي أوّل ما نزل من القرآن تضمنتْ عالميته، ففي سورة القلم جاء قول الله تعالى : ﴿**ويقُولُون إنَّهُ لَمجْنُونٌ وما هوَ إلاّ ذِكْرٌ للعَالَمِين**﴾(52)، وفي سورة الأنبياء جاء قول الله تعالى ﴿**وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلاّ رحْمَةً للْعَالمين**﴾(106)، وفي سورة سبإ جاء قولُ الله تعالى ﴿**ومَا أرْسَلْنَاكَ إلاّ كَافَّةً للنّاس بَشيراً ونَذيراً ولكنّ أكْثَرَ النّاسِ لا يعْلَمُون**﴾(28).

وقال ﷺ : «**...وكان النّبيُّ يُبْعَثُ إلى قوْمه خاصّةً وبُعِثْتُ إلى النّاس عامّةً**»(رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي)، وقال ﷺ أيضا : «**والذي نفْسُ مُحَمّد بيَده لا يسْمَعُ بي أحَدٌ مِنْ هَذه الأُمّة -أمّة الدّعوة- يهُوديٌّ ولا نصْرانيٌّ ثُمّ يمُوتُ ولمْ يُومنْ بالذي أرْسلْتُ به إلاّ كَان مِنْ أصْحاب النّار**»(رواه مسلم).

هذا الحديث الأخير صرّحَ باليهود والنصارى خاصة لأنهم أهل كتاب، وكتابُهُم يحُضُّهُم على اتباع الرسول الخاتم عند بعثته، فإذا لم يومنوا به فهم يُعْتَبَرون من الكافرين بكتابهم، ولذلك فالحجةُ عليهم أقوى وأشد، أما غيرهم ممّن لا كتاب لهم فهم داخلون في أمة الدّعوة من باب أوْلَى وأحْرَى.

2) **تَراخي المُسْلمين في الدّعوة ليْس حجةً على عَدَم عوْلَمة الإسْلام :**

إن الله تعالى قال للمسلمين بصيغة الأمْر الواجب : ﴿**ولْتَكُن منْكُم أمّةٌ يدْعُون إلى الخَير ويامرُون بالمعرُوف وينْهَوْن عن المُنْكَر وأُولَئك هُمُ المُفْلحُون**﴾(آل عمران : 104) وقال تعالى : ﴿**اُدْعُ إلى سَبيل ربّك بالحكْمة والموْعظَة الحَسَنَة وجَادلْهُم بالتي هيَ أحْسَنُ**﴾(النحل : 125)، بل أكثرُ من ذلك نجدُ أن الإسلام اعتبَرَ الدّعْوة للدين أحسنَ وظيفة على الإطلاق، فقال : ﴿**ومَنْ أحْسَنُ قوْلاً ممّنْ دعَا إلى اللّه وعَملَ صالحاً وقالَ : إنّني مِن المُسْلمين**﴾(فصلت : 32).

3) **شرْعيةُ العوْلمة الإسلامية وهوائيّة العولمة البشريّة :**

إن العولمة الإسلامية نزل بها القرآن الذي هو آخرُ خطاب ربّانيٍّ للبشر جميعاً، ونصّ عليها الرسول الخاتم الذي هو حجة على البشر جميعا، والله عز وجل المنزّلُ للقرآن هو أعْلَمُ بمصالح البشر في الحال والمآل، ولعلْمه بالمصالح الحقيقية للبشر حاضراً ومستقبلا كان القرآن صالحاً لكل زمان ومكان لأنه صادرٌ عن الله عز وجل المُنَزَّه عن الخطأ والنسيان والغفلة، والمنزّه عن الغَرَض والهوى، لأن الله عز وجل فوق الزمان والمكان، وفوق الأغراض والمصالح، من أطاعَهُ لم يزد في مُلكه شيئاً، ومن عصاه لم ينقُصْ من مُلكه شيئاً. ولذلك كان القرآن، وكان الدين لمصلحة البشر خاصة في دنياهم وأخراهم، إن أطاعو ربّهم سَعدُوا في الدنيا وبُوركَتْ حياتُهُم، وخُلِّدُوا في نعيم الآخرة ورضوان الله تعالى، وإن عَصَوْا شَقُوا دنيا وأخرى ﴿**ومَنْ أعْرَضَ عنْ ذكْري فإنّ لهُ معيشَةً ضنْكاً ونحْشُرُهُ يَوْمَ القيَامَة أعْمَى**﴾(طه : 122).

4) **مُميّزاتُ العوْلَمة الربّانية :**

مميزاتها لا تُعدُّ ولا تُحْصَى، وهذه فقط أبرزُها :

1- أنها من عند الله عز وجل المُوَفّق والهادي لكُلِّ رُشدٍ وفلاحٍ وخير عَميم للإنسانية جمعاء.

2- تمْنحُ للإنسان كاملَ الحرّية ليقرّر مصيرَه، ويختارَ طريقَه الذي يتحمّلُ فيه كامل المسؤولية ﴿**لا إكْراه في الدين**﴾(البقرة : 255) فلا سُلطة لرسول أو أيّ بَشَرٍ عليه في اختيار دينه أو مذهبه، أو سياسته أو سلوكه إلا سُلطة خالقه يوم يقف أمامه مسؤولا عما اختاره لنفسه بعد إعْذار الله تعالى بإنْزَال الكُتُب وإرسال الرسُل.

3- تُحقّقُ للإنسان الكرامة الحقّةَ، فلا حقّ لأحَد -شرعاً- أنْ يعْتديَ على نفسه، أو ماله، أو عرضه بغير حق، بل لا حقّ لأحَد في أن يَسْخَرَ منْه، أو يتجسَّسَ عليْه، أو يُسيءُ الظّنَّ به، أو يسُبَّهُ، أو يقْذفَهُ بغير بيِّنَة عادلة، أو يغْتابَه، أو يُشَهِّر بَعيوبه ومساوئه التي لا تسبِّبُ للمجتمع ضرراً أو إفساداً.

4- تحقّق للإنسان العدالة التامة التي لا تتأثر بالميولات والأهواء ﴿**يا أيُّها الذين آمَنُوا كُونُوا قوّامين بالقسْط شُهَداءَ للّه ولوْ علَى أنْفُسكُم أو الوَالدَيْن والأقْربين**﴾(النساء : 134) ﴿ولا يجْرمَنّكُم شَنَانُ قَوْمٍ علَى ألاّ تعْدلُوا اعْدلُوا هُوَ أقْربُ للتّقْوَى﴾(المائدة : 9).

5- تحقق للإنسان العفّة الكاملة : عفّة الفكر والقلب، وعفّة القول واللسان، وعفّة السّمْع والبصر، وعفّة السلوك، وعفّة الفرج، بحيث لا تسْمَحُ العوْلمة الربّانيّة بالقُرب من الفاحشة، فما بالُك بالوقوع فيها ﴿**وليَسْتَعْفف الذين لا يَجدُون نكَاحاً حتّى يُغْنيَهُم اللهُ منْ فضْله**﴾(النور : 33).

6- لا تسمحُ للإنسان بأن يكْسبَ رزْقَهُ عن طريق الحَرَام البيِّن أو المشتبَه فيه، قال ﷺ : «**إنّ الحلالَ بيِّنٌ وإن الحرَامَ بَيِّنٌ وبيْنَهُما أمُورٌ مشْتَبهاتٌ لا يعْلَمُهُن كَثيرٌ من النّاس فَمنِ اتّقَى الشّبُهات اسْتَبْرَأَ لدينه وعرْضه ومَن وَقَع في الشّبُهات وقَعَ في الحَرام**»(متفق عليه)، وقال تعالى : ﴿**ولا تَاكُلُوا أمْوَالَكُم بيْنَكُم بالبَاطل وتُدْلُوا بها إلى الحُكّام لتَاكُلُوا فَريقاً منْ أمْوَال النّاس بالإثْم وأنْتُم تعْلَمُون**﴾(البقرة : 187) فلا شرعية لمالٍ مكتسَب عن طريق السرقة، أو الغصب، أو الغش، أو الانتهازيّة واستغلال السلطة، أو الربا، أو الاحتكار، أو المتاجرة في المحرّمات والأعراض...

هذه بعض مزايا العولمة الربّانيّة، فما هي العولمة البشرية؟!

5) **حَقيقَةُ العوْلمة البشريّة :**

العولَمة البشرية هي نظامٌ اخترعَهُ الطغاة الكبارُ للسيطرة على ضعاف العالَم والتحكم فيهِم عن طريق ما سمّوْه «الشّرعية الدّولية» أو ما أطلقوا عليه -زوراً وبهتانا- «القيم الكونية» لأن القيَمَ الكونية -حقيقة- هي ما أنْزَله الله تعالى خالقُ الكون لخَلْقه ليَسير بدون اصطدامٍ مع محيطه وبيْئَته، من المحافظة على سلامة فطرة الإنسان وحريته وكرامته وحفظ كُلّياته الضرورية.

وهذا النّظامُ العالميُّ الجديد -وإن كان مضمونُه قديما- اخترعه الكبار بعد الحرْب العالمية الثانية لتنظيم العالَم على أساس هياكلَ تضمَنُ السيطرة على أمْوال العالَم وجعْل مُسْتَضْعَفيه مُجَردَ خَدَمٍ وعبيد للمُحادِّين لله وللرسُول ولكُل القيَم النبيلة والسّلوكات النظيفة.

6) **بعض هياكل الشرعية الدولية :**

« مجلس الأمْن الذي يتحكّمُ فيه كبارُ العالَم قوةً وتسليحاً بأعْتى سلاح مُدمِّرٍ للدول الضعيفة، وللحضارات والقيم التي لا تسايرُ أهواءَه، ولذلك لا سلطة فوقه إلا سلطة الله تعالى، ولكنّ كبار مجلس الأمن الخمسةَ لا يعترف أيّ واحدٍ منهم بالله تعالى ولا بأحقية حُكمه لكونه ومُلكه، وأحقية قيوميّته لهُ بالحق والعدْل، وأحقيّة إنصافَ عباده المظلومين من الظالمين، فإذا اتفق الخمسة الكبار على إشهار الفصل السابع من بنوده في وجه المغضوب عليهم من بعض الدول الرافضة لأهوائه، فلا اعتبار للمعارضين من باقي أعضاء المجلس، لأن عضويتهم مجرّدُ ذرٍّ للرماد في عُيون المغفلين أو المغلوبين على أمورهم.

● محكمة العدل الدولية، والمحكمة الجنائية الدولية التي تُجرّدُ سيوفَها لقطع رقاب الضُّعفاء.

● الأمم المتحدة المجردة عن كل سلطة مُلْزمة بدون مجلس الأمْن.

● تأسيس المؤسسات الكفيلة بالتحكم في الاقتصاد العالمي كصندوق النقد الدولي الذي يحرُس النظام النقدي، وكالبنك الدولي المنظّم للتدفّقات المالية، وكتوسيع النظام الربوي لرَهْن مقدّرات الدّول والشعوب، وكفتح الأسواق لجعل الدول الضعيفة مجردَ مستهلك لما تُنْتجُه الدول المتقدمة صناعة وتقنيةً وعَلماً مادياً وبالأخص في امتلاك أسْرار القوة العسكرية والإعلامية والاستخباراتية والفضائية، فإنها تحتكر هذه الأسرار ولا تسمح لأحد بامتلاكها.

7) **هدف العولمة :**

يمكن اختصار أهداف العولمة البشرية في :

● ابتلاع ثروات العالم عن طريق السيطرة الاقتصادية.

● تحطيم الحدود الجغرافية ليصبح العالم قرية كبيرة، أو قبيلة كبيرة لها شيخ يحكمُها هو مجلس الأمن.

● تذويب الثقافة والأخلاق لتصبح ثقافة الغالب وأخلاقه هي السائدة.

● تذويب الأديان، وبالأخص الدين الإسلامي الذي هو الدين حقا، لتصبح الشرعية الدولية هي الدِّين الجديد.

● افساد الأسرة بتغيير مفاهيمها من أسرة تتكون من رجل وامرأة وأولاد إلى أسرة تتكون من رجل ورجل أو امرأة وامرأة، وهذا لعمْرُ الحقِّ قمة الإفساد البشري الذي يتنزّه عنه الحيوان الأعجم، ثم سُلطت الأضواء على المرأة التي أعطَوْها حقّ التعري بدون حدود ولا قيود، وحق ممارسة الفاحشة بدون تبعة ولا عقاب، وحق التجرُّؤ على الله عز وجل ودينه بانتقاد الثابت من نصوص القرآن والسنة بدعوى المساواة كانتقاد القوامة، وانتقاد ما أعطاها الله تعالى من الإرْث، وحق بيْع جسدها لطلاب الرغبات الشهوانية، وحقّ الترحيب بمواليدها من السفاح. وحوَلُوها من سَكَنٍ ومودة ورحمة متبادلة بينها وبين الرجل الزوج إلى نَدٍّ مصارع لتحقيق الذات وتحقيق الغلبة والسيطرة الخاوية الجوفاء، بل ضخّموها ونفخوا فيها لتحقيق ذاتها المادية عن طريق تفضيلها على الرجل في الكثير من الوظائف لغاية في نفس يعقوب، فأصبحت وزيرة، ومهندسة، وطبيبة، وشرطية، وجندية، وحدّادَة، ومقاولة، وسائقة للحافلة وسيارة الأجرة، وتاجرة، ومربية الدجاج والأرانب والمعز والأبقار.. ولا عَيْب في ذلك لو كان ذلك كُلُّه متوازنا مع وظيفتها الأصلية التي لا يستطيع الرجل أن يقوم بها، وهي تربية الأجيال الصالحة، التي تعتبر بحق مفخرةً لها وحْدها.

بلْ أكثر من ذلك ضُخِّمَتْ تضخيما كاذبا نفاقيا إلى درجة تقديمها في الخطاب على الرجال «سيداتي سادتي» وإلى درجة حذف تاء التانيث أحياناً «مثل الدكتور عزيزة» مع أن الله عز وجل قدّم الرجُلَ عليها ميلاداً، فسيدنا آدم هو أوّل إنسان خلقَه الله تعالى، ثم خَلَق منه زوجته ﴿**يا أيُّها النّاسُ اتّقُوا ربَّكُمُ الذي خَلَقَكُم من نَفْسٍ واحدَة وخَلَقَ منْها زَوْجَهَا وبَثّ منْهُما رجَالاً كَثيراً ونسَاءً**﴾(النساء : 1) وقدّم الرجل على المرأة في القسم بهما ﴿**واللّيْل إذا يَغْشَى والنّهَارِ إذَا تَجَلى ومَا خَلَقَ الذّكَر والأنْثَى إنّ سَعْيَكُم لَشَتّى**﴾(الليل : 1) وقدّم المُسْتقَرّ على المُسْتَوْدَع ﴿**وهُوَ الذي أنْشَأَكُم من نَفْسٍ واحدَة فمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصّلْنَا الآيَاتِ لقَوْمٍ يَفْقَهُون**﴾(الأنعام : 99) المستقر مكان الحيوانات المنوية، والمستودَع مكان استقبالها وتخليقها. والقرآن أكثره وجّه الخطاب للإنسان بصيغة الجمع الرجولي الذي يتضمّن الرجال والنساء معا، مثل ﴿**وأقيمُوا الصّلاة**﴾ ﴿**فيه هُدًى للمُتّقين**﴾ ﴿**قد أفْلَح المُومنُون**﴾ فهو خطاب يشمل المقيمات للصلاة، والمتقيات، والمفلحات... إلى غير ذلك مما هو كثير.

بل أكثر من ذلك جعلوا للمرأة عيداً، وللأم عيداً، ولا عيدَ للرجل ولا للأب، وأنشأوا لها جمعيات تطالب بحقوقها، ولا جمعيات تطالب بحق الرجل، فهل هذا التضخيمُ بَريءٌ من الأهواء والأغراض التي ترمي إلى العبث بالأُسْرة المسلمة التي هي الصّرح المنيع، والحصْن المتين لبقاء المجتمعات المسلمة متماسكة ومترابطة برباط الإيمان المستعصي على الذوبان في مستنقعات العولمة البشرية؟! ذلك ما يُقطَعُ بالشك فيه، و﴿**حَسْبُنَا اللّه ونِعْم الوَكيل**﴾(آل عمران : 173).

جريدة المحجة

■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي

الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net

عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)

الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113

الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

إسبانيا: رابطة مسلمي مليلية تدعو إلى تشكيل رابطة أئمة

أعربت "رابطة مسلمي مليلية" عن رغبتها في تشكيل رابطة إسلامية إسبانية؛ من خلال تشكيل هيئة أئمة مستقلة عبارة عن هيئات أو منظمات أجنبية؛ ولذلك طلب رئيس "مليلية" من "ألبرتو رويث" -وزير العدل الإسباني- ألا يكون الأئمة من المغرب العربي فقط.وصرح "عبدالرحمن بن يحيى" -الأمين العام للمنظمة- أنه إذا تحقق هذا، سيترتب عليه تجنب تأثير إحدى الدول على الخطاب أو الرسالة الموجهة للمجتمع الإسلامي في "إسبانيا" من داخل المسجد.وأضاف "بن يحيى" : إن استقلال الأئمة هو ضمان حقيقي للتعايش الديني والحياتي، كما أكد على ضرورة احترام شرائع المسلمين فيما يختص بالزواج؛ حيث نوقش هذا الشأن في الاجتماع الذي دار بين وزير العدل ورئيس المدينة، من أجل التمتع بنفس الصلاحيات المعطاة للكنيسة؛ حيث رحب "بن يحيى" بقرار الوزير بدراسة هذا الطلب.

فلسطين المحتلة: الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يذهب إلى غزة

ذهب وفد مكون من أعضاء "الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين" لزيارة قطاع غزة. وصرح الاتحاد أن الوفد يترأسه الدكتور "علي القره داغي" -الأمين العام للاتحاد- وأكد الاتحاد في تصريحه أيضًا أن الهدف من هذه الزيارة هو دعم الفلسطينيين هناك، الذين يتعرضون للهجمات الإسرائيلية، ووضع هذا الدعم حيز التنفيذ.

فرنسا: تقرير يؤكد تضاعف عدد المتحولين للإسلام

أشار تقرير منشور بجريدة "نيويورك" الأمريكية اليومية إلى تضاعف عدد المتحولين إلى الإسلام في "فرنسا" خلال الـ 25 سنة الماضية.وقد صرح "برنارد جودارد" -موظف مسؤول عن الشؤون الدينية بوزارة الداخلية الفرنسية- أنه يوجد في "فرنسا" 6 مليون مسلم، ومنهم مائة ألف تحولوا للدين الإسلامي معظمهم من النصرانية، وقد تضاعفت هذه الإحصائية مقارنةً بالـ 50 ألف المسجلين عام 1986. ويعتبر الخبراء هذا العدد المتزايد من المتحولين للإسلام في تلك البلاد تحديًا متزايدًا للحكومة العلمانية. وجدير بالذكر أن "باريس" قد قامت باتخاذ مواقف صارمة ضد المسلمين.

تركيا: إلزام مضيفات الخطوط الجوية التركية بالزي الإسلامي

تم تغيير زي مضيفات الخطوط الجوية التركية بما يتماشى مع التعاليم الإسلامية، كما استوحيت تفاصيله من التراث التركي القديم.فبناءً على تعليمات غير مكتوبة من رئيس الوزراء التركي "رجب طيب أردوغان" تم تغيير زي السبعينيات المكون من تنورة حمراء قصيرة وجوارب شفافة إلى ملابس طويلة وارتداء غطاء رأس يشبه الطربوش العثماني القديم. وقام المعارض "كمال كيايجادر أوغلو" بتقديم استجواب مباشر إلى البرلمان متسائلاً بصراحة شديدة عما إذا كانت تلك التغييرات بناءً على تعليمات رئيس الوزراء أم لا. جدير بالذكر أن زوجة الرئيس "عبد الله جول" ترتدي الحجاب منذ زمن بعيد.

أردوغان: أنهينا ديوننا الخارجية.. وسنقرض البنك الدولي!!

قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان اليوم الثلاثاء إن بلاده ستدفع أخر دفعة ديون مستحقة عليها بقيمة 400 مليون دولار لصندوق النقد الدولي بحلول 14مايو المقبل. وكشف أردوغان أن احتياطات النقد في المصرف المركزي التركي بلغت أكثر من 125 مليار دولار، مشيرا إلى أن الضرائب تساهم بـ16 ٪ من الدخل القومي أما البقية فتأتي من الاستثمار، منتقدا الحكومات السابقة التي جعلت الضرائب تساهم بـ 86٪ من الدخل القومي. وأوضح أردوغان، خلال كلمته أمام اجتماع كتلة حزبه البرلمانية في أنقرة اليوم أن ملف الديون الخارجية لتركيا، امتد لعشرات السنوات والتي تجاوزت 23 مليار دولار. وأضاف أردوغان في تصريحات أوردتها وكالة "الأناضول" التركية للأنباء أن تركيا ستتحول إلى دائنة لصندوق النقد الدولي، بعد أن طلب منها قرضا بقيمة خمسة مليارات دولار، مؤكدا أن المفاوضات لا تزال جارية من أجل إتمام عملية الإقراض. واتهم رئيس الوزراء التركي الحكومات السابقة أيضا بأنها فرغت صناديق البلاد وخزائنها، فيما عملت حكومته في عشر سنوات من أجل إعادة تمويلها، مشيرا إلى أن هذا "قمة الوطنية" في البلاد.

سريلانكا: الهجوم على المسلمين وتهديدهم بالقتل

قامت مجموعة بوذية مجهولة بالهجوم بالدراجة النارية على شخص مسلم كان ذاهبًا لصلاة الفجر في حي "هورمباوا"، بمدينة "نارملا" بمحافظة "كروناجلا" السريلانكية.

وفي الوقت نفسه هاجمت مجموعة أخرى مسلمًا في نفس المنطقة كان ينتظر الحافلة للذهاب إلى عمله.

هذا وقد أُرسلت رسالات تهديد باللغة السنهالية على نطاق واسع لمحلات المسلمين الواقعة في مدينة "نارملا" السريلانكية؛ وكانت الرسالة باسم اتحاد المنظمات البوذية وتقول: "يا مسلم، أنت تستولي على ثروات الأغلبية البوذية، ونهايتك قبل مارس 2013".

وتنتشر بين المسلمين حالة من الذُّعر والقلق بسبب تلك الأعمال العدائية والرسائل العنصرية.

خبر صحي

منافع التمر

يحتوي التمرُ dates على دهونٍ وسكّريات وبروتينات، وعلى العديد من العناصر الغذائيَّة الأساسيَّة من فيتامينات ومعادن، مثل الكالسيوم والأحماض الأمينيَّة والكبريت والحديد والبوتاسيوم والفوسفور والمنغنيز والنحاس والمغنيزيوم (الذي يُفيد الجسم بشكلٍ كبير) والفيتامينات A1 و B1 و B2 و B3 و B5. كما يُعدُّ التمرُ مصدراً رائعاً للألياف الغذائية (حيث تُوصي جمعيةُ السرطان الأمريكية بتناول 20 إلى 35 غراماً من الألياف الغذائية في اليوم).

يُفيد تناولُ التمور في مُعالجة الإمساك (غذاءٌ مُليِّن) ومكافحة الاضطرابات المعويَّة وتعزيز زيادة الوزن (عند النَّاحلين) ومشاكل القلب والإسهال وسرطانات البطن. ويُقال إنَّ استهلاكَ حبَّة تمر واحدة يومياً أمرٌ ضروري لاتباع نظام غذائي مُتوازن وصحِّي، والحفاظ على صحَّة العَينين.

يحتوي كيلوغرام من التَّمر على ما يُقارب 3000 سعرة حرارية. وهذه السعراتُ الحراريَّة كافيةٌ وحدَها لتلبية الاحتياجات اليومية للجسم البشري. وهو يُسمَّى بملك الحلويَّات، لأنَّه فاكهة مثالية من حيث الهضم والعناصر المفيدة والمكوِّنات المتوازنة.

سيدات بريطانيا يعتنقن الإسلام

أعدت قناة "بي بي سي" البريطانية فيلمًا وثائقيًا عن السيدات البريطانيات اللاتي اعتنقن الإسلام في "بريطانيا".

يحمل هذا الفيلم الوثائقي اسم "اجعلني مسلمة -Make me a muslim"، وهو يستند إلى أبحاث تمت في هذا المجال تثبت تزايد عدد السيدات اللاتي يعتنقن الإسلام باستمرار في "بريطانيا".

يعرض الفيلم الوثائقي لحياة خمس سيدات كن يقضين وقتهن في شرب الخمر، ثم تخلين عن هذه العادات، ويوضح الأسباب التي جعلتهن مسلمات، وكيف تغير نمط حياتهن بعد اعتناقهن الدين الجديد.

ويؤكد الفيلم على أن خمسة آلاف سيدة يعتنقن الإسلام كل عام في "بريطانيا"، 75٪ منهن من ذوات البشرة البيضاء، والغريب في الأمر أن كثير ممن يعتنقن الإسلام من السيدات كن عارضات أزياء أو مغنيات قبل ذلك.

السويد: السماح برفع الأذان لأول مرة

وقع مجلس البلدية في "السويد" على قرار تاريخي يوافق على رفع الأذان من المئذنة لأول مرة في البلاد، وذلك أيام الجمعة من مسجد "فيتيجا" الذي تم بناؤه في العاصمة "ستوكهولم" بمساهمات من رئاسة الشؤون الدينية التركية. وصرح إسماعيل أوقور - رئيس الجمعية الثقافية الإسلامية - بأنهم تقدموا بطلب للبلدية التابع لها المسجد ، وطلبوا الحصول على تصريح بشأن رفع الأذان أيام الجمعة من مآذن المسجد.بعدما وصل الطلب إلى جدول أعمال مجلس البلدية واجتمع أعضاء المجلس، واستمرت المناقشات بشأن هذا الموضوع طويلاً، وانتهت بالموافقة على رفع الأذان بمكبرات الصوت من المئذنة لأول مرة في تاريخ "السويد". الجدير بالذكر أن مسجد "فيتيجا" قد تم تشييده بمساهمات من فاعلي الخير المقيمين في "السويد" بالتعاون مع رئاسة الشؤون الدينية التركية، وهو مسجد يحظى باهتمام السويديين والأجانب.

مصر.. الدعوة لمليونية "الدفاع عن العلماء والمساجد"

أعلنت مجموعة من الفعاليات في مصر عن مليونية "الدفاع عن العلماء والمساجد" بمسجد القائد إبراهيم ردًا على تعدي ميليشيات التيار الشعبي وحزب الدستور على مسجد القائد إبراهيم ومحاصرة الشيخ أحمد المحلاوي لأكثر من 14 ساعة داخل المسجد ومحاولة التعدي عليه و100 من المصلين بينهم نساء وأطفال. من جانبه، أكدت بعض القوى الإسلامية قرار الحشد بمليونية الجمعة لإعلان الرفض الشعبي لممارسات بلطجية وميليشيات التيار الشعبي وحزب الدستور التي بدأت بالاعتداء على المقرات ثم التطاول على بيوت الله وعلماء الإسلام.

الولايات المتحدة: جامعة كارولنيا تستضيف مؤتمرا عن الحجاب

استضافت "جامعة كارولينا الشمالية" -بالتعاون مع "جامعة ديوك"- مؤتمرًا بعنوان "إعادة التعرف على الحجاب"، حول حجاب المرأة المسلمة، الذي يستند لخلفيات دينية وثقافية، ويتعرض لنوع من سوء الفهم لدى غير المسلمين. واستهدف المؤتمر إقامة حوار بين الدارسين والأساتذة بالعديد من الجامعات بأقسام العقيدة والفلسفة وبين الحضور حول الحجاب، علاوة على العديد من الأحداث الإضافية التي تضمنت معرض "تود دراك" بعنوان "الصورة الذاتية للمسلمين الأمريكيين"، ومعرضًا حول الحجاب من قبل "متحف أكلند" للفنون.

من صفات المتقين

قال الله جلت حكمته : ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

الهجوع : نوم الليل خاصة(1). وقد روى الإمام الطبري بسنده عن الحسن البصري رحمهما الله كلمات في تفسير هذه الآية، قال :"كابدوا قيام الليل، لا ينامون من الليل إلا أقله ثم مدوا في الصلاة ونشطوا، حتى كان الاستغفار بسحر"(2)، وروى أيضا عن التابعي الكبير الأحنف بن قيس(3) رحمه الله ورضي عنه أنه كان يقرؤها فيقول متحسرا : "لستُ من أهل هذه الآية"(4) كذلك كان الصحابة والتابعون رضوان الله عنهم يجتهدون ويجتهدون، فإذا نظروا إلى معارج الآيات ومنازلها، لم يروا أنفسهم أنهم صنعوا شيئا وهم الركع السجد كما وصفهم القرآن، الخشع الخضع، لكنهم مع ذلك لوامون لأنفسهم، مستصغرون لها، بكاؤون أواهون قد كوى الخوف جنوبهم فهجروا المضاجع فزعا، وانتصبوا بين يدي ربهم يجأرون إليه بطلب الجوار وألطاف الأمان كما قال في السجدة : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾(السجدة : 16). ذلك سر قلة نومهم، وما كان لمن سكنه الخوف أن يجد للنوم سبيلا، إلا قليلا. قال ﷺ : "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة(5).

وما أجل سبحات الاستغفار بالأسحار، حيث يسكن الليل ويهجع كل شيء، فلا يبقى إلا الله الواحد القهار.. تلك نزهة الروح في خلوات الوصال، وتمتعها العميق بمناجاة الرحمن. والاستغفار بالسحر قد يراد به معناه الظاهر، من ترديد عبارات الاستغفار، وطلب المغفرة من الله، والترنم بأدعية التوبة إليه تعالى، وقد يراد به صلاة التهجد في ثلث الليل الآخر، الموافق لوقت السحر، وكأن في ذلك تنبيها على أهمية الاستغفار في السجود والركوع عند الأسحار، كما تواترت به الآيات والأخبار.

ومن أجل الأحاديث الصحيحة في ذلك قول النبي ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : "ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول : من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له"(6)، والمقصود بالدعاء والاستغفار إنما هو أثناء صلاة الليل وخلالها، كما بينه حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "من خاف أن لا يقوم من أخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر أخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل"(7)، وفي رواية أخرى لمسلم "فإن قراءة آخر الليل محضورة"، وكلاهما بمعنى واحد.

كذلك حالهم مع الله، وأما حالهم مع خلق الله فهو مراعاة أهل الحقوق، والتصرف فيما رزقهم الله من أموال، على قاعدة أن : "المال مال الله، والبشر مستخلفون فيه"، فيؤدون لله حقه، كلما جاءهم ساعيه، من سائل أو محروم، قال تعالى : ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾. وحق الله متبوع في كتاب الله بحق عباده، لأن ذلك من حقه. تماما كما ارتبط إقام الصلاة بإيتاء الزكاة في الإسلام. ولا يصح دين عبد ولا يستقيم حتى يعبد الله بجوارحه وماله، ويرعى حقوق الله وحقوق عباده.

والسائل هنا هو : الفقير الناطق بحاجته، المعبر عن فقره بالمسألة والتكفف. وأما المحروم فهو : الفقير المتعفف، الذي لا يسأل الناس إلحافاً، رغم حاجته وفقره، فلا يُعطَى الصدقة، لظن الناس أنه غير محتاج، بما أخفى من حاله. على ما قال الله عز وجل في سورة البقرة : ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافا﴾(البقرة : 273). وهو ما فسره النبي ﷺ بقوله : "ليس المسكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطَن فيُتصَدق عليه، ولا يقوم فيَسأل الناس"(8).

وحقيقة المحروم أنه : من سأل الناس فمنعوه وحرموه لكن ذلك غير مقصود هنا. وإنما سمي محروما باعتبار مآل حاله، إذ يُتصدق على غيره ممن ظهرت حاجته بنطقه وسؤاله، لكنه هو يُغفل عنه ويُنسى، بسبب خفاء حاله وصمته فيُحرَم ما كان يمكن أن يُعطى. ويجوز أن يشمل وصف "المحروم" أيضا، كل من فقد ماله بسبب جائحة، أو مصيبة أتت على كل ماله، حتى صار إلى الفقر، فكان بذلك محروما.

فأصحاب مقام الإحسان يعطون السائل، ويتحسسون هم بأنفسهم من أهل الحرمان، ويبحثون عن الصابرين على ما ابتلاهم الله به من الفقر، فيطرقون عليهم الأبواب في خفية عن الناس، ويؤدون لهم حق الله الذي جعل لهم، يواسونهم بالمال والاحتضان والعطف والسلام.

وقد قصر بعض المفسرين معنى "حق" في هذه الآية، على الزكاة المفروضة فقط، وبعضهم صرفه إلى صدقة التطوع فقط. والحقيقة أنه شامل لهما معا. فالمحسنون في أموالهم يجعلون على أنفسهم حقا للسائل والمحروم، تقربا إلى الله عز وجل. فيدخل فيه حق الزكاة الذي فرضه الله، ويدخل فيه ما يرتبونه على أنفسهم من صدقات التطوع الثابتة على الدوام، بقدر معلوم، يجعلونه حقا على أنفسهم للفقراء والمساكين، فيلتزمون به التزامهم بالنذور. وذلك نحو ما يجعله المؤمن لأقاربه الفقراء من راتب ثابت، يخرجه من ماله حتى ولو لم يتحقق فيه نصاب زكاة، سواء كان صاحب فلاحة، أو ماشية، أو تجارة، أو صناعة، أو مهنة، أو غير هذا وذاك من أسباب الرزق وموارد المال، فإنه يجعل للسائل والمحروم حقا مما سوى الزكاة وإن قل. وهذا هو الذي فسرته سورة المعارج بقول الله تعالى : **﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾**(المعارج : 24-25).

1- ن. مادة : "هجع" في المحيط في اللغة لابن عباد، والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

2- روى الطبري كلمات الحسن البصري متفرقة، حسب الشواهد عند تفسير هذه الآيات، بينما ساقها ابن كثير هكذا مجتمعة.

3- الأحنف بن قيس تابعي جليل، كاد أن يكون صحابيا اشتهر بالحلم والحزم والجهاد والورع. جاء في التهذيب : (الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي، أبو بحر البصري. واسمه الضحاك، وقيل : صخر، والأحنف لقب. أدرك النبي ﷺ ولم يسلم، ويُروى بسند لين أن النبي ﷺ دعا له. روى عن عمر، وعلي، وعثمان، وسعد، وابن مسعود، وأبي ذر، وغيرهم. وعنه الحسن البصري، وأبو العلاء ابن الشخير، وطلق بن حبيب، وغيرهم، قال الحسن : ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف. ومناقبه كثيرة، وحلمه يضرب به المثل وذكره محمد بن سعد في الطبقة الأولى من أهل البصرة، قال : وكان ثقة مأمونا، قليل الحديث. وذكر الحاكم أنه الذي افتتح مرو الروذ، وقال مصعب بن الزبير يوم موته : ذهب اليوم الحزم والرأي. قيل : مات سنة (67هـ)، وقيل : سنة (72 هـ). قال ابن حجر : وقيل : إن اسمه الحارث، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أحمد في الزهد : حدثنا أبو عبيدة الحداد، ثنا عبد الملك بن معن عن خير بن حبيب أن الأحنف بلغه رجلان دعاء النبي ﷺ (يعني له) فسجد). تهذيب التهذيب(1/167).

4- أورده الطبري عند تفسيره للآية.

5- رواه الترمذي وحسنه، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. كما صحح الألباني في تحقيق سننه، وفي صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.

6- متفق عليه

7- رواه مسلم.

8- رواه البخاري.

مواقف وأحوال

لما ذا صبر الإمامان : ابن اللباد وابن أبي زيد على زوجتيهما؟

أنت تذكر ما حدثتك به في العدد الماضي عن الإمام الفقيه أبي بكر ابن اللباد رحمه الله وصبره على زوجة سيئة الخلق، ونص القصة كما ذكرها القاضي عياض رحمه الله عن محمد بن إدريس هو: وكانت له -يعني أبا بكر بن اللباد - امرأة سليطة، تؤذيه بلسانها، فحكي أنها قالت له يوماً: يا زانِ! فقال: سلوها، فبمن زنيت؟ قالت: بالخادم، قال: سلوها لمن الخادم؟ قالت: له. فقال له أصحابه: طلقها، ونحن نؤدي حقها، فقال: أخشى إن طلقتها، أن يبتلى بها مسلم، ولعل الله دفع عني بمقاساتها بلاءً عظيماً، ثم قال: بل حفظتها في والدها، فإني خطبت إلى جماعة فردّوني، وزوجني هو لله تعالى، وكان يفعل معي جميلاً، أفتكون مكافأته طلاقها؟ وكان يقول: لكل مؤمن محنة، وهي محنتي"

ثم وقفتُ في غضون هذا الأسبوع على قصة لتلميذه الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن أبي زيد رحمه الله ذكرها ابن العربي رحمه الله في أحكامه، فقال: أخبرني أبو القاسم بن أبي حبيب بالمهدية، عن أبي القاسم السيوري عن أبي بكر بن عبد الرحمن، قال: كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد من العلم والدين في المنزلة المعروفة، وكانت له زوجة سيئة العشرة، وكانت تقصر في حقوقه، وتؤذيه بلسانها، فيقال له في أمرها -أي يطلب منه فراقها- فيسدل بالصبر عليها، وكان يقول: أنا رجل قد أكمل الله علي النعمة في صحة بدني ومعرفتي، وما ملكت يميني، فلعلها بعثت عقوبة على ديني، فأخاف إذا فارقتها أن تنزل بي عقوبة هي أشد منها(1).

إذا تأملت القصتين رأيت أن هذين الإمامين اجتمعا في مسألة مهمة جدا هي صبر كل منهما على زوجة سيئة الخلق، ولكن الزاوية التي نظر منها كل منهما تختلف عن الزاوية التي نظر منها الآخر:

فالإمام ابن اللباد رحمه الله نظر إلى:

1- خوفه من أن يبتلى بها مسلم، وفي هذا أن المسلم ينبغي أن يجتهد في دفع البلاء عن إخوانه ما استطاع.

2- النظر إلى جانب النعمة في ما وقع، فلعل الله دفع عنه بها بلاء أكبر، ومصيبة أعظم.

3- استحضاره لما صنع والدها معه من الجميل والمعروف، مما حمله على مقابلته بجميل ومعروف آخر هو تحملها والصبر على أخلاقها، وكثير من الأزواج ينسون هذا.

وأما ابن أبي زيد رحمه الله فنظر من زوايا أخرى:

1- نظر إلى عظيم نعم الله عليه، فرأى سوء أخلاق زوجته أمرا لا قيمة له وسط بحر تلك النعم.

2- نظر إلى نفسه فاتهمها بالتقصير في طاعة الله تعالى، والبعد عن محارمه، وأنه أهل للعقوبة، وهذه المرأة عقاب له من الله على تقصيره.

3- نظر إلى العقوبة فرآها ألوانا وأشكالا ومستويات، فرأى أن الله لطف به حين جعل عقوبته في زوجته، وما يدريه إن فارقها أن تنزل به عقوبة أشد.

رحمك الله أبا بكر ابن اللباد، ورحمك الله أبا محمد ابن أبي زيد، فبمثلكما يقتدى، وفي أخباركما ينظر الصالحون، ويعتبر المعتبرون.

---

1 أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية (1/468)

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

مع سنة رسول الله ﷺ

مفهوم التجديد و شروط المجدد

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(1).

د. لخضر بوعلي

هذا خبر من الصادق المصدوق الذي : "لا ينطق عن الهوى" والذي قال عن نفسه لعبد الله بن عمرو بن العاص: **«أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق»**(2).

ومضمون هذا الحديث هو من خصوصيات هذه الأمة ولم يكن هذا في الأمم السابقة لأن تلك الأمم كان يُبعث فيها الرسول برسالة محدودة في الزمان والمكان فيؤمن به من شاء الله له أن يؤمن وهم حواريوه الذين ينقلون عنه الدين إلى الأجيال التالية وهكذا ينتقل الدين من جيل إلى جيل وخلال هذا الانتقال يعرف نقصا متواصلاً في الفهم وفي التطبيق حتى يمّحي وتندرس معالمه، فيرسل الله تعالى نبيا يُحيي تلك الرسالة أو رسولاً برسالة جديدة ينسخ بها تلك الرسالة، وقد يمر وقت يطول أو يقصر بين اندراس معالم الرسالة وبعثة الرسول الجديد وهي "الفترة" كما جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى : **﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيِّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾** (المائدة : 21) وقوله تعالى: **﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾**(يس : 5).

لكن هذا الأمة الشريفة لا تجري عليها هذه السنة، لأن نبيّها محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء، وكتابها هو خاتم الكتب والمحفوظ بحفظ الله من دون الكتب والمهيمن على كل ما بين يديه من الكتب، وشريعتها هي خاتمة الشرائع والناسخة لها، فهو الدين الكامل والمرتضى والباقي إلى يوم يبعثون، فلا نبي بعد رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ ولا كتاب بعد القرآن العظيم ولا شريعة بعد الشريعة العصماء **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**(آل عمران : 84). فلا بديل عن هذا الدين لأن الله تعالى شاء له أن يتجدد إلى يوم الدين : **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**(المائدة : 4) بئس للظالمين بديلا عن الكامل والتام والمرضي.

وفي قوله ﷺ : **«لهذه الأمة...»** إشارة إلى أن هذا الأمر خاص بأمة رسول الله ﷺ، واسم الإشارة القريب للتنويه والتشريف .

أولا : من هو المجدد؟

إن كلمة «من» اسم موصول يفيد الإطلاق وتدل على المفرد كما في قوله تعالى : **﴿ومنهم من ينظر إليك﴾**(يونس : 43) وقد تدل على الجمع كما في قوله تعالى: **﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾**(يونس : 42) وعليه فالتعبير يحتمل أن يكون المجدد فردا أو جماعة، فلا داعي إذن إلى تتبع أسماء أفراد من العلماء في كل قرن والمفاضلة بينهم لمعرفة المجدد منهم... ولا يخفى على ذي لب ما يمكن أن يحدثه هذا النوع من التفضيل، وبالخصوص في الزمن الذي يستفحل فيه التعصب للمذاهب الفقهية والكلامية والتعصب للأقطار وللأجناس واللغات وما إلى ذلك من الانتماءات... أو تكون المفاضلة بين العلماء وبين الدعاة وبين المحسنين وغيرهم .. فقد يكون كلهم ساهم في تجديد هذا الدين وبعثه في الأمة.

إن ما نشاهده من عودة مباركة إلى هذا الدين من قِبل الشباب والنساء ومن مختلف شرائح المجتمعات الإسلامية والذي يتجلى في عمارة بيوت الله تعالى والعناية بها والمدارس القرآنية والمشاريع العلمية والإعلامية والمكتبات الإسلامية المطبوعة والرقمية وكل ذلك ليس في البلاد الإسلامية فحسب بل في أوروبا وأمريكا وغيرها... وما نشاهده من إقبال على الإسلام من أبناء الأمم الأخرى ودخولهم فيه ودفاعهم عنه وما إلى ذلك من بشائر النصر والخير لا يمكن أن يُنسب كله إلى شخص واحد مهما كانت الجهود التي بذلها في خدمة الإسلام ومهما كانت مرتبته العلمية ومهما بلغت أخلاقه من الحسن... إن هذه الثمار الطيبة هي بالتأكيد آثار جهود كثيرة وحثيثة لجيوش من العلماء والدعاة والمحسنين والمؤسسات... تضافرت وتفاوتت فيما بينها وتكاملت فكان منها هذا الخير.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله : "...لا يلزم أن يكون في رأس كل مئة سنة واحد فقط لأن اجتماع الصفات التي نحتاج إليها في تجديد أمر الدين في هذه الأمة لا ينحصر في نوع واحد، ولا يلزم أن جميع خصال الخير في شخص واحد..".

أقول إن صفات الخير كلها وبالقدر الذي يبلغ الكمال لم تجتمع إلا في رسول الله ﷺ وبعده تفرقت في أبناء الأمة وتفاوتوا فيها وتفاضلوا بها فكانت مقياسا للتأسي برسول الله ﷺ والنفع لهذه الأمة والخدمة لهذا الدين.

قال ابن حجر : **"... وبعده قيل إنها اجتمعت في عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه" على رأس المائة الأولى لأنه رضي الله عنه جمع بين العلم والحُكم فكان عالما وكان قائما بالعدل .

إن الأمة ليست بحاجة إلى رجل واحد وخصوصا عندما تضعف ويسوء فهمها للدين وتنحرف عن الصراط المستقيم، عندما تضعف مناعتها وتصبح قابلة لكل أمر سيئ، ورافضة كل أمر صالح ... عندما تُسلم قيادتها للجهال والمتنطعين ... وقتئذ يبعث الله تعالى فيها -رحمة بها وإكراما لنبيها ﷺ- طائفة من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور كتاب الله أهل العمى..

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم..."(3).

هؤلاء العلماء هم ورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ولكنهم ورّثوا العلم ... هؤلاء العلماء هم أعلم عباد الله بمراد الله من كتابه وهم أعلم عباد الله بسنة رسول الله ﷺ وهم الأقدر على التنزيل السليم للوحي على واقع الأمة وما يجري فيها من أحداث...

إن من حق الأمة أن تلتفّ حول علمائها لأنهم صانعوا أمجادها وكاتبوا تاريخها.

وإن من صفاتهم أن الله تعالى يبعثهم كما بعث الأنبياء ﷺ، وما بعث الله تعالى نبيا إلا من قومه(4) قال تعالى : **﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم...﴾**(آل عمران : 164) وقال تعالى : **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم...﴾**(الجمعة : 2) وقال تعالى : **﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم..﴾**(البقرة : 151) وقال تعالى : **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم﴾**(التوبة : 129).

فالعلماء هم الأبناء البررة للأمة صفاتهم من صفات الأنبياء، ومن أبنائها الشرعيين هم الذين يبعثهم الله تعالى ليجددوا لها أمر دينها، وعليه فإن التجديد لا يكون من غير أبناء الأمة ولا من اللقطاء ولا من الهجن ...

لأن هذه الأمة بعضها من بعض لا يفرق بين أجيالها طول الزمن ولا بعد الشقة

إن من حق العلماء أن يحتفى بهم ومن حق الأمة أن تحتفي بعلمائها وأن تُسلم إليهم قيادتها، فهم أعينها التي بها يبصر الناس والتي تسهر عندما ينام الناس وتحرس عندما يغفل الناس

وهم قلب الأمة الذي ينبض بالحياة ويشعر بآلام الأمة وهمومها وفيه تزدحم مع آمالها وتطلعاتها وفيه تصاغ مشاعرها

وهم لسانها الذي يعبر بصدق عن ذاتها ورغباتها وعن مواقفها تجاه كل ما ومن يحيط بها

وهم عقلها اليقظ الذي يفكر في همومها ومشاريعها وكيف يوصل الخير إلى كل فرد من أفرادها وكل مؤسسة من مؤسساتها.

وهم حراسها الذين يعرفون المخاطر التي تحدق بها، يقفون المواقف التي تتعين عليهم شرعا فتنتفع الأمة كلها بذلك ويتحملون وحدهم تبعات ذلك.

ويرحم الله تعالى أحد علماء هذه الأمة العاملين الذي قال حين قيل له : "ألا تستريح" قال :" نحن وقف على مصالح هذه الأمة".

قال الإمام علي رضي الله عنه :

الناس من جهة التمثال أكفاء
أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف
يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

قال رسول الله ﷺ : **«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين»**(5).

هذا الثلاثي المكون من الغالين والمبطلين و الجاهلين "الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب

يقولون على الله تعالى وفي الله تعالى وفي كتاب الله تعالى بغير علم

يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم..."(6)

إن التشدد والغلوّ، والتسيب والانحلال، وغيرها من الانحرافات إنما تنشأ وتنتشر بتأييد من المجتمع وقبوله لها واحتضانه لأصحابها الذين يعملون بها ويدعون إليها، ولا شك أن المجتمع لا يقبل هذه الرذائل والأخلاق السيئة إلا إذا ابتعد أو أُزيح عن المحجة البيضاء وما عاد يميز بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، فإذا وقع ذلك فمن الذي يرد الأمور إلى نصابها ويضع الميزان الذي توزن به الأفكار والأعمال؟ إنها الطائفة التي يبعثها الله تعالى لتجدد للأمة أمر دينها. يُحسنون قيادة الأمة إلى الفهم الجيِّد للذكر الحكيم والتطبيق الجيِّد لما فيه من الأحكام والتعاليم بالحكمة والموعظة الحسنة...

ثانيا : ما هو الأمر الذي يجدد للأمة؟

إن الحديث ينص على "أمر الدين" وهي كلمة تطلق في التعبير النبوي على الإسلام والإيمان والإحسان كما في حديث جبريل عليه السلام : **«...إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»**(7).

ومعلوم أن الدين من حيث مصدره الذي هو الوحي بشقيه كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ محفوظ بحفظ الله الكريم قال تعالى : **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**(الحجر : 9) وقال عز من قائل في حفظ السنة التي هي بيان القرآن الكريم : **﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾**(القيامة : 16- 18).

إن الذي يتغير ويتجدد هو الأمة، فهي تتغير في الاتجاه السلبي كما في قوله تعالى : **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات...﴾**(مريم : 59) وقال تعالى : **﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله ياخذوه ألم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولون على الله إلا الحق...﴾**(الأعراف : 169) كما أنها تتغير في الاتجاه الحسن قال تعالى: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾**(محمد : 39).

إن التجديد هو تجديد الأمة بالوحي
إنه تجديد فهم الأمة للوحي
إنه تجديد تنزيل الوحي على واقع الأمة
إنه تجديد تجلي الوحي في حياة الأمة
إنه تجديد العلاقة بين الأمة والوحي
وتنشيط الأمة بالوحي

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الإيمان يخلَق في جوف أحدنا كما يخلَق الثوب وأمرنا بتجديده بلقاء الأحبة وبقول لا إله إلا الله، وتجديده -يقينا- لا يعني تغييره وإنما تنشيط القلب به وتجديد الدين يعني المحافظة على أصله وتجديد تجلياته .

إن هذا الحديث هو مظهر آخر من مظاهر كرم الله تعالى وعنايته بهذه الأمة، كما أنه دليل آخر على شرف هذه الأمة، وهو دعوة إلى الافتخار بالانتماء لهذه الأمة والاعتزاز بها

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

1- هذا الحديث رواه أبو داود في سننه عن سليمان بن داود المهري قال: أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة

2- أخرجه الإمام الدارمي في سننه في المقدمة باب من رخص في كتابة العلم.

3- الإمام أحمد من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

4- إلا ما قيل إن نبي الله شعيب عليه السلام لم يكن من مدين لقوله تعالى في سورة الشعراء "... كذب اصحاب الايكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون .." وفي جميع الأنبياء المذكورين في السورة ورد قوله تعالى : ﴿...غذ قال لهم أخوهم..."

5- رواه البيهقي، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح

6- ابن وضاح عن الإمام أحمد

7- حديث جبريل المشهور الذي رواه الشيخان وأصحاب السنن عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سأل فيه جبريلُ النبيَّ ﷺ عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان...

استوصوا بالنساء خيرا... قالها الحبيب ﷺ

عبد الحميد الرازي

الخطبة الأولى

....عباد الله:

إن المتتبع لسيرة النبي ﷺ يجده وقد كان يُقَدِّرُ المرأة (زوجة وبنتا وأما) ويتعهدها ويمنحها من العناية والرعاية والمحبة ما تستحق... ولقد ضرب أمثلة رائعة من خلال سيرته العطرة.. فتجده أول من يواسي المرأة كيفما كانت علاقته بها، زوجة كانت أم بنتا أم واحدة من نساء المؤمنين..، صغيرة أم كبيرة.. يُقَدِّر مشاعرها ويسمع شكواها ويخفف من أحزانها، وفي المقابل فإن المتتبع للدراسات الأجنبية التي تهتم بالعلاقات الزوجية أو الأسرية عموما، يجدها وقد أهملت جانب القدوة، ولا تعدو أن تكون مجرد شعارات.

لكن سيرة الحبيب ﷺ غير ذلك فهي قول وعمل، وتحقق وتخلق، لأن الله عز وجل قال له: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾، فاسألوا التاريخ إن شئتم، وتصفحوا سيرة الحبيب تجدونه مثالا يحتدى.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: أمك، قال: ثم من؟، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟، قال: «أبوك».**

وروى الإمام أحمد **أن جاهمة** رضي الله عنه **أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت الغزو وجئتك أستشيرك، فقال: «هل لك من أم؟»، قال: نعم، قال: «الزمها فإن الجنة عند رجليها».**

وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب»**

ولقد كان للنبي ﷺ أربع بنات من زوجته خديجة رضي الله عنها وهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.

وكان ﷺ يفرح لمولدهن، فقد سُرَّ لمولد آخر بناته فسماها فاطمة، ولقبها بـ (الزهراء)، وكانت تكنى أم أبيها رغم أنها كانت الرابعة في ترتيب بناته ﷺ، وفي هذا درس منه ﷺ بأن من رُزِق البنات وإن كثر عددهن عليه أن يظهر الفرح والسرور ويشكر الله سبحانه على ما وهبه من الذرية، وأن يحسن تربيتهن، ويحرص على تزويجهن بالرجل الصالح صاحب الدين والخلق.

وقد زوج ﷺ جميع بناته من الأتقياء الأخيار : فزوج زينب رضي الله عنها من أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه، وكان من تجار مكة الكبار وكان يعرف بالأمانة والصدق .. وزوج رقية رضي الله عنها من عثمان بن عفان رضي الله عنه، الزاهد الجواد الحيي، فلما توفيت زَوَّجَهُ رسول الله بابنته الأخرى أم كلثوم رضي الله عنها، وكذلك زوَّج فاطمة رضي الله عنها من علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عباد الله:

لقد جعل النبي ﷺ من معايير خيرية الرجال حسن معاملة الزوجات، فلقد روى الترمذي أن عائشة رضي الله عنها قالت: **قال رسول الله ﷺ : «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».**

وروى الترمذي أيضا عن عائشة رضي الله عنها: **أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً وألطفهم بأهله».**

وفي صحيح البخاري **أن عائشة رضي الله عنها سئلت: ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟، قالت: «يخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته».**

وعن الأسود رضي الله عنه قال: **سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: "كان في مهنة أهله" -يساعدها في عملها- "فإذا حضرت الصلاة، قام إلى الصلاة"**

فمع كثرة أعبائه ومسؤولياته ﷺ كان زوجا محبا، جميل العشرة، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسع عليهم في النفقة، ويضاحك نساءه، ويصبر عليهن، ويعينهم في أمور البيت..

عباد الله:

يا أتباع محمد ﷺ :

المرأة عند رسول الله مستشارة أمينة، لها رأيها المقبول والمعقول، ولنتأمل في هذه القصة العجيبة:

روى الإمام أحمد قصة صلح الحديبية في حديث طويل، ذكر فيه أنه لما تم الصلح بين النبي ﷺ ومشركي قريش قام فقال: **«يا أيها الناس انحروا واحلقوا»، قال: فما قام أحد، قال: ثم عاد بمثلها، فما قام رجل، ثم عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال: «يا أم سلمة ما شأن الناس؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تُكَلِّمَنَّ منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون»، فكان رأي أم سلمة رضي الله عنها رأياً موفقا ومشورة مباركة.**

قال الإمام ابن حجر: وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدلُّ على وفور عقلها وصواب رأيها .."

وفي ذلك دليل على استحسان مشاورة الزوجة الفاضلة مادامت ذات فكر صائب ورأي سديد، كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة، طالما أنها مشورة صائبة،

وفي قبول النبي ﷺ لمشورة زوجته أم سلمة تكريم للزوجة خاصة وللمرأة عامة، التي يزعم أعداء الإسلام أن الإسلام حرمها من حقها وتجاهل قدراتها وحط من كرامتها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي يتلقى الوحي من ربه عز وجل؟!، ثم يعمل بمشورتها.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم وفي هدي سيد المرسلين ونفعني وإياكم بما فيهما من الهدى والخير والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

عباد الله:

حقوق المرأة في الإسلام مكفولة محفوظة...

"أتت أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها إلى النبي ﷺ فقالت: إنِّي رسولُ من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، وإن الرجال فضلوا بالجمعات، وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه؟» فقالوا: لا يا رسول الله، **فقال رسول الله ﷺ : «انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بمقالة النبي ﷺ.**

إنه عدل الله الخالق، إنه التكريم الإلهي الفريد.. إنها عدالة الإسلام.

وعلى هذا النهج عاش المسلمون يقتدون بخير خلق الله لا يرون فرقا بين ذكر وأنثى إلا فيما أمر الله ورسوله، فها هو أحدهم يرسل رسالة إلى أخ له يهنئه بالبنت قائلا: أهلا وسهلا بعقيلة النساء، وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون:

فلو كانت النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب
وما التذكير فخر للهلال

عباد الله:

إنها المرأة في الإسلام، إنها المرأة في أمة محمد ﷺ.. جوهرة مصونة ودرة مكنونة، تحظى بالعناية والرعاية، وتلقن التربية الإسلامية النقية، إعدادا لها لتحمل الأمانة والقيام بمهمة العمارة ولصناعة القادة وأصحاب الريادة والسيادة..

لقد عاشت المرأة أُمًّاً وابنة وزوجة في حياة النبي ﷺ ولها من المكانة والمنزلة الحظ الوافر، فلا يمكن أن تتمتع المرأة في أي مجتمع آخر بمثل ما حظيت به المرأة المسلمة مهما ادعوا الحفاظ على حقوقها وزعموا العمل على صون كرامتها، فلقد كان حرص النبي ﷺ على المرأة وحقوقها عجيبا حتى إنه أوصى بها في خطبته الأخيرة في حجة الوداع قبل موته، فقال: **«استوصوا بالنساء خيرا»**(رواه البخاري).

فهل بعد الحق إلا الضلال؟

اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلا...

إشراقة

روح التعايش الاجتماعي

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : **قال رسول الله ﷺ : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه»**(متفق عليه) .

إن أول شيء بدأ به الرسول ﷺ في المدينة هو ربط القلوب بعضها ببعض، وتقوية الصِّلات بالمؤاخاة، وتوطيد العلاقة بين المهاجرين والأنصار، حتى يستشعر المؤمنون في المجتمع الإسلامي روعة الأخوة في الله التي تتسامى على الفوارق العنصرية والعرقية التي درج الناس على اعتبارها من الفوارق الأساسية في حياتهم، **يقول الإمام النووي** رضي الله عنه **: هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه(1).**

وقد **قال النبي ﷺ : المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وان اشتكى رأسه، اشتكى كله(2).**

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : **قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**(متفق عليه).

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : **فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا.**

قال النووي رضي الله عنه : وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام(3). وكأن المسلمين عجنوا من طينة واحدة فصنع منهم رجل واحد، وهذا ما تصنعه الأخوة في الله تجعل المسلم يهتم بمشاكل أخيه، ويعني بجميع شؤونه، فيتألم لآلامه، ويفرح لفرحه، ويحب له ما يحب لنفسه، وفي الباب عن أنس رضي الله عنه **عن النبي ﷺ قال : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**(متفق عليه).

يقول ابن أبي حمرة رحمه الله تعالى : الذي يظهر أن التراحم والتواد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينهما فرقاً لطيفاً، فأما التراحم : فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان.

وأما التواد : فالمراد به التواصل الجالب المحبة كالتزاور والتهادي.

وأما التعاطف : فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه، قوله : "تداعى" أي دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في الألم(4).

وفي الباب عن عمر رضي الله عنه **أن رسول الله ﷺ، قال : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»**(متفق عليه). يقول الإمام النووي رضي الله عنه : «في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب وستر زلاته»، ويدخل في تفريج الكربة : من أزالها بماله، أو جاهه، أو مساعدتهن،... وأزاله بإشارته ورأيه ودلالته، أما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة.

1- شرح المسلم ج 16 ص 130
2- رواه المسلم
3- المصدر السابق
4- الفتح ج 13 ص 539

ذ. عبد الحميد صدوق

واجب المسلمين نحو القرآن الكريم 1

د. محمد الأنصاري

تمهيد:

للقرآن الكريم مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة عند المسلمين، فهو كلام الله ووحيه المنزل على رسوله محمدﷺ، وهو الرسالة السماوية الخاتمة لخير أمة أخرجت للناس، وهو أيضا مصدر الدين والتشريع والتقنين: قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾(الشورى : 11)، وقال سبحانه: ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾(آل عمران : 85)؛ فالقرآن هو أصل الأصول وأساسها، منه تنطلق وإليه تعود، وهو أصل حياة الأمة وسبيل رشدها وعزتها، وتحقيق شهادتها على الناس، ولهذا فقد وصفه الله تعالى بأوصاف عدة تبين طبيعته ووظيفته، وتثبت أهميته ومكانته العظيمة، منها:

أ- أنه روح: قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا﴾(الشورى:52)، والروح هي سر الحياة، ولا حياة للمسلمين في أي زمان ومكان بدون هذه الروح.

ب- وأنه شفاء ورحمة للمؤمنين به العاملين بهداه؛ قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين﴾ (الإسراء:82).

ج- وأنه هدى للمتقين: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾(البقرة :1)، به تتحقق الهداية للتي هي أقوم في كل أمر من أمور المسلمين، قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾(الإسراء : 9).

د- وأنه بصائر تبصر المتحقق المتخلق بها، فيكون بذلك من المبصرين للحق العاملين به، قال تعالى: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾(الأنعام 104).

ه- وأنه نور وضياء، به تستضيء العقول وتستنير القلوب، قال سبحانه:﴿ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾(الشورى 52).

إذن فما السر في كتاب هذا شأنه، وهذه وظائفه وطبيعته، لم يحي به المسلمون اليوم كما كانوا أحياء به زمن النبوة والخلافة الراشدة، وفي أزمان متفرقة من حياة المسلمين؟.

إن العاقل ليدرك أن عدم حياة الأمة بالقرآن اليوم، وهو هو الذي حييت به من قبل، إنما يرجع إلى إخلالها الكبير بما يجب عليها نحوه، فالمسلمون اليوم، أعرضوا عن القرآن إعراضا وهجروه هجرا، فلم يتخذوه هدى يهتدون به، ولا نورا يستنيرون به، ولا بصائر يستبصرون بها، حتى إنهم لينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾(الفرقان 30).

فإذا كان حال السلف الصالح من هذه الأمة مع القرآن، يتمثل في صدق الإقبال عليه بالقراءة، والتدبر والفهم، والتبصر والاهتداء، فإن حال الخلف اليوم كحال المخلفين من الأعراب حينذاك، ومن هاهنا فإن عودة الحياة الحقة للمسلمين، حياة العزة والكرامة، ومن ثم قيامهم بالوظائف والأمانات المنوطة بهم، وفي مقدمتها أمانة الاستخلاف والشهادة على الناس أجمعين، وأمانة الترشيد والتوجيه للعاملين، فإن عودة هذه الحياة وأداء هذه الأمانات العظيمة لن تتم علما وعملا ومنهاجا، إلا بعودة المسلمين عودة نصوحا للقرآن الكريم، فهذه العودة وحدها فقط، هي الكفيلة ببعث الحياة من جديد في جسم الأمة المسلمة، وهي الكفيلة أيضا بتجديد الدين تحققا وتخلقا في النفس والمجتمع، وأي عودة لأي شيء آخر غير القرآن، فإنما هي عودة إلى الحياة الميتة؛ حياة الضياع والتيه والضلال.

وحتى تكون عودة المسلمين في هذا الزمان إلى القرآن عودة راشدة، فإن السبيل إلى ذلك هو أن نعرف ما يجب علينا في حق الكتاب المسطور - القرآن- والكتاب المنظور -الكون-، وفي هذه المقالة سأتناول ما يجب علينا - نحن المسلمين- نحو كتاب الله المسطور، لأن التحقق بهذه الواجبات والتخلق بها هو السبيل الذي يبصرنا بواجبنا نحو الكون وعمارة الأرض بالخير والصلاح.

فأما ما يجب علينا نحو القرآن الكريم، فيمكن اختصاره في الواجبات التالية :

أولا: واجب القراءة : لقوله تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾(المزمل 20)، فعلى المسلمين اليوم أفرادا وأسرا ومجتمعات، أن يخصصوا أوقاتا بالليل والنهار سرا وعلانية لقراءة القرآن وتلاوته، قراءة تكون على منهاج قراءة النبيﷺ له، كما هو واضح في قوله عز وجل:﴿وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾(الإسراء 106).

ثانيا: واجب الاستماع والإنصات: فالواجب أن يكون استماعنا للقرآن وإنصاتنا له مقدماً على استماعنا لأي كلام آخر دونه، فعلى قدر استماع الآذان وإنصات العقول والقلوب الواعية للقرآن، يكون استحقاق الرحمة للمستمع المنصت؛ قال تعالى: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾(الأعراف 104)، فالحرص على الاستماع والإنصات لكلام الله تعالى بصدق وإخلاص يثمر في قلب المستمع محبة القرآن، وهذه المحبة هي مفتاح الإقبال على القرآن بالقراءة والتدبر والفهم والعمل، وهذه الأمور هي طريق الاستبصار ببصائر القرآن والاهتداء بهدايته المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير.

ثالثا: واجب الترتيل: فالله تعالى أمر نبيهﷺ بترتيل القرآن الكريم، وهو أمر للأمة أيضا فقال سبحانه: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾(المزمل:4)، والمراد هنا بالترتيل: قراءة القرآن على تؤدة وتمهل وتبين حروف(1)، والقصد من قراءة القرآن بمنهج الترتيل، هو التمكن من تأمل المقروء وفهمه؛ يقول ابن كثير في هذا المعنى: (أي اقرأ على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره)(2)، فالترتيل التعبدي للقرآن سبيل التبصر والتبصير بنور القرآن وبصائره .

والمطلوب أيضا في القراءة بالترتيل أن تكون بمنهج التلقي، فالتلقي هاهنا استقبال القلب للقرآن، وهو استقبال على سبيل الذكر حتى تثمر التبصر في فكر القارئ المرتل، وفي فهمه، وتثمر ثمرة الخشوع القلبي ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد﴾؛ فالترتيل يقتضي استحضار ثقل آيات المرتل وعظمة بصائره وكأنها تنزل عليه غضة طرية، تماما كما كان الرسولﷺ يقرأ ويرتل استجابة لأمر ربه: ﴿ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾(المزمل: 5-4)، وكما في قوله تعالى أيضا: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾(النمل :6).

رابعا: واجب التدبر: والأصل فيه قوله تعالى:﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾(محمد: 24)، فالتدبر وسيلة لاستثمار القرآن واستقامة الفكر وصحة الفهم عن الله تعالى، وهو مفتاح خشوع القلب واستحضار عظمة الله تعالى، وبلوغ أعلى درجات المعرفة واليقين. ولأهمية التدبر هذه، فقد حذر الحق سبحانه من غفلة القلوب عن الخشوع لذكر الله، فقال:﴿ ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾(الحديد: 16).

إن الخشوع خصيصة من خصائص هذا القرآن، فطبيعته التأثير في الأنفس والمخلوقات كلها حتى الجامدة منها كالجبال؛ قال تعالى: ﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾(الحشر :21)، وقال سبحانه: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾(الزمر :23).

خامسا: واجب التعلم والتعليم: فتعلم القرآن وتعليمه واجب على كل مسلم مكلف، فهو الواجب الشرعي الذي يحصل به الفقه في الدين، فالله تعالى علم الرسول ﷺ بالقرآن، إذ به تعلم الإيمان وتعلم الإسلام وتعلم الشرعة والمنهاج، وبه علم أصحابه ذلك كله، فصاروا علماء بالقرآن.

والأصل في هذا الواجب قولهﷺ : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(3)، وقوله أيضا: (تعلموا القرآن والفرائض وعلموا الناس فإني مقبوض)(4).

إن قضية تعلم القرآن وتعليمه؛ مسألة ينبغي العناية بها قبل العناية بتعلم وتعليم أي شيء آخر، عملا بمنهاج تعليم الله تعالى لرسوله وتعليم الرسول ﷺ لأصحابه، ولهذا كانت هذه القضية هي أساس انطلاق الأمة المسلمة كما وكيفا إذا ما أديت وأتقن أداؤها، أما إذا أهملت كما هو واقع الحال اليوم، وقدم عليها غيرها من العلوم والمعارف كيفما كانت، فإن ذلك هو أساس التيه والضلال، والتخلف والانحدار، والتبعية والانجرار، تماما كما هو حال الأمة في هذا الزمان. وعلى هذا الأساس، فإن واجب تعلم القرآن وتعليمه ينبغي أن يكون هم المسلمين جميعا، فتعطى له الأولوية في البيت، وفي مؤسسات التربية والتعليم، وفي وسائل الإعلام كلها، مقروءة ومسموعة ومرئية، وفي المؤسسات الاجتماعية والثقافية، المدنية والعسكرية، الخاصة والعامة.

وإلى جانب هذه العناية العامة بهذا الواجب من قبل المسلمين أفرادا وأسرا ومجتمعات ودولا، فإنه ينبغي أن تخصص له مؤسسات خاصة تعنى بتعليم القرآن للناس الكبار منهم والصغار، الذكور والإناث على حد سواء.

1- البيضاوي في تفسيره : 405/5 .

2- ابن كثير في تفسير: 435/4.

3- البخاري في فضائل القرآن برقم :4639.

4- رواه الترمذي عن أبي هريرة في الفرائض برقم: 2017، و الدار مي في المقدمة بلفظ آخر عن ابن مسعود برقم :223.

أية المرأتين أحق بالشكوى؟ وأيتهما أوفر حقوقا من الأخرى؟ المرأة المسلمة أم غيرها..؟

د. محمد التاويل

تتعرض المرأة المسلمة دون غيرها لغزو فكري علماني إلحادي يقوده خصوم الإسلام وأعداؤه وعملاؤهم بهدف تشكيكها في دينها وقيمها، وتشن حولها ومن أجلها حملات دعائية شرسة في محاولة لإقناعها بأنها ضحية دينها وشريعتها وتُقدمها على أنها مظلومة مهانة، وأنها مهضومة الحقوق، محرومة من كل ما تتمتع به المرأة غير المسلمة من احترام وحقوق وخاصة في قانون الأسرة وأحكامها، وتتغاضى تلك الجهات عمداً أو خوفا عما تعانيه المرأة غير المسلمة من مآسٍ وما تتعرض له من مشاكل وما تتحمله من حيف وظلم لحقوقها وحرمان من حقوق تتمتع بها المرأة المسلمة دونها، ولا تجرؤ تلك الجهات عن إثارتها والدفاع عنها والمطالبة بإنصافها بنفس الحماس والغيرة التي تبديها في التعامل مع قضايا المرأة المسلمة، وأمام هذا الإصرار على التعامل مع قضايا المرأة بمكيالين والنظر إليها بمنظارين، والإصرار على استغلال قضايا المرأة المسلمة للتشويش على الإسلام وتحريضها على التمرد على دينها والتنكر لشريعتها والمطالبة بتعديلها أو تعطيلها. أقول أمام هذا كله لا يسعنا إلا أن نفتح ملف حقوق المرأة عندنا وعند غيرنا والمقارنة بينهما للأسباب التالية :

1- ليعلم الجميع أية المرأتين أحق بالشكوى والنصرة؟ وأيتهما أبخس أو أوفر حقوقا من الأخرى المرأة المسلمة أم غيرها؟

2- ليعلم الجميع أن الإسلام المتهم ظلما وزورا بالإساءة إلى المرأة هو أحرص الديانات كلها على حقوق المرأة وأكثرها توسعا فيها وتوفيرا لها.

3- لتعلم المرأة المسلمة المغرر بها عمق الهاوية التي سقطت فيها وفداحة الجرم الذي ترتكبه في حق دينها ومدى استغلال خصوم الاسلام لقضيتها، وتعود إلى رشدها وتكف عن الصياح والعويل على ضياع حقوقها وتستغيث بملاحدة الشرق والغرب لاسترجاعها حسب زعمها.

4- ليرى الجميع أيضا العجب العجاب المسكوت عنه الذي تعانيه المرأة غير المسلمة في مجال حقوق المرأة.

وأول هذه العجائب التي تكشفها هذه المقارنة هي ما تفاجئنا به الوضعية المالية للزوجة اليهودية بالمقارنة بالوضعية المالية للزوجة المسلمة المتمثلة في المفاجآت الثلاث التالية :

أولا :في باب حق الزوجة في التصرف في مالها:

1- أن الزوجة اليهودية كل ما يهدى لها في عرسها وكل ما تكسبه من عمل بعد زواجها هو ملك لزوجها دونها. يصدق عليها المثل القائل : "العبد وما كسب لسيده". بينما الزوجة المسلمة تملك كل ما يهدى لها وكل ما تكسبه من عملها هو ملك لها دون أن يكون للزوج فيه أدنى حق إلا ما تطوعت به له عن طيب خاطر.

وهو حق ضمنه لها الإسلام نص عليه في الكتاب والسنة في آيات وأحاديث كثيرة، في قوله تعالى : ﴿**للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن**﴾(النساء : 32) وقوله : ﴿**ولا تكسب كل نفس إلا عليها**﴾(الأنعام : 166)، وقوله ﷺ : «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس**»، وقوله : «**كل أحد أحق بماله من ولده ووالده والناس أجمعين**».

2- أن ما تاتي به المرأة اليهودية من أموال اكتسبتها قبل الزواج توضع رهن ذمة الزوجية.

بينما الزوجة المسلمة تملك كل أموالها وتتمتع بذمة مستقلة عن ذمة الزوج، والإسلام لا يعرف ما يسمى بذمة الزوجية.

3- أن حق التصرف في مال الزوجة اليهودية هو للزوج وحده دون سواه. بينما الزوجة المسلمة لها وحدها دون زوجها الحق في التصرف في أموالها ولا اعتراض للزوج عليها فيما تفعله في أموالها. ولها الحق في توكيل من تشاء على ذلك ولا حق للزوج في التصرف في أموال زوجته إلا بإذنها وتوكيلها.

ونرى من المفيد نقل نص إلي مالكا المتخصص في قوانين الاسرائيليين حيث يقول بالحرف : إن كل ما أتت به المرأة من المال يكون رهن ذمة الزوجية. وكل ما تجمعه وتكسبه من عمل وكل ما يهدى إليها في عرسها يكون مِلكا لزوجها بتصرف فيه كما يريد بدون معارض.

وللزوج دون سواه حق إدارة أموال الزوجة لما له من حق الانتفاع بها(1).

ثانيا :في باب المواريث

التي هي محل التشهير بالإسلام نسجل للمرأة المسلمة على غير المسلمة النقط التالية :

1- الأم المسلمة من الورثة الأساسيين لا يحجبها عن ميراثها أحد وإرثها مضمون بنص القرآن ولا ينقص عن سدس التركة أو الثلث كما قال تعالى : ﴿**ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين**﴾(النساء : 11).

أما الأم اليهودية فلا ترث شيئا في أولادها وليست معدودة في لائحة الورثة من قريب ولا بعيد(2).

2- البنت المسلمة ميراثها مضمون بنص القرآن الكريم لا يحجبها حاجب ولا يمنعها زواجها من إرثها المنصوص عليه في قوله تعالى : ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك**﴾(النساء : 11).

أما البنت اليهودية فلا ميراث لها أصلا إذا تزوجت في حياة أبيها. وإذا أرادت الميراث فعليها أن تضحي بشبابها وتعيش عنوستها وكهولتها في انتظار وفاة أبيها لتأخذ ميراثها.

3- الأخت المسلمة ترث في أخيها الميت مع وجود أخ له حي للذكر مثل حظ الانثيين بنص القرآن في قوله تعالى : ﴿**وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين**﴾(النساء : 175).

أما الأخت اليهودية فلا ترث مع أخيها شيئا ويحجبها عن الميراث.

4- والأخت المسلمة أيضا ترث مع أبناء الأخ الميت وتقدم عليهم وما بقي عنها يأخذونه إن بقي شيء من التركة.

أما الأخت اليهودية فلا ترث مع أبناء الأخ ويحجبونها عن الميراث(4).

5- الزوجة المسلمة ميراثها في زوجها مضمون بنص القرآن أيضا متردد بين الربع والنصف كما قال تعالى : ﴿**ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين**﴾(النساء : 11).

بينما الزوجة اليهودية لا حق لها في الميراث في زوجها وإنما لها الحق في أخذ صداقها بمقتضى النصوص الدينية الموسوية(5).

وآخر ما توصل إليه الحاخامات اليهود تحريف التوراة لإنصافها وقسم ما تملكه هي وما يملكه هو وإعطاؤه مثل ما ينوب أحد الورثة ولا ينقص عن الخمس فإذا لم يكن معها إلا وارث واحد تأخذ النصف وإن كان معها أربعة تأخذ الخمس يقول ألي مالكا : "وقد رأى رجال القانون الإسرائيلي أن في القانون الموسوي صلابة وشدة وفي النظام الثاني تجاوزا للحدود الشرعية فعقدوا اجتماعا استقر رأيهم على حل وسط لخصه في أنه إذا توفي الرجل قبل زوجته فتتم القسمة فيما يملكه الزوجان على الكيفية الآتية : يكون للمرأة حظ يعادل الحظ الذي ينوب أحد ورثة الهالك(6).

وفي الحقيقة أنه حتى في هذه القسمة تبقى الزوجة غير وارثة ما دامت القسمة فيما يملكانه معا بل قد تخسر بعض مالها في بعض الحالات.

فلو فرض أن ثروتهما تساوي مائة مليون ومعها وارث واحد فإنها عندما تأخذ النصف بمقتضى القسمة فإنما أخذت مالها فقط. وفي حالة ما إذا كان معها أربعة فإنما تأخذ عشرين مليونا نتيجة القسمة بينما تملك خمسين مليونا بمقتضى اشتراكها في المال المقسوم.

وهكذا يتبين أن المرأة المسلمة أما وزوجة وبنتا وأختا أحسن حالا من نظيرتها اليهودية وأوفر حظا وأكثر إرثا منها فلماذا تحترم اليهودية نظامها ولا تشتكي من ظلمها؟ ولماذا تملأ المرأة المسلمة الدنيا صياحا وتذمرا وشكاوي من نظامها في الإرث وتستغيث وتستنجد بشياطين الجن والإنس وتصر على المطالبة بتحريفه وتغييره؟

ثالثا :في موضوع الزواج

نسجل ما يلي:

1- أن الأرملة المسلمة تتمتع بحرية كاملة في الزواج وعدمه وفي اختيار الزوج الذي تتزوج به لا اعتراض على اختيارها ولا إكراه عليها. وهذه الحرية ضمنها لها الإسلام بنص القرآن في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾(النساء : 19) وعلى لسان رسول الله ﷺ في قوله : الثيب أحق بنفسها(7).

بينما نجد الأرملة اليهودية مجبرة على الزواج بأخي زوجها الميت بالرغم من أنفها، وفي حال امتناعها ورفضها الزواج به لا يجوز لها التزوج بغيره طول حياتها وتعتبر عاصية متمردة على دينها. يقول السيد ألي مالكا : إذا أبت الأرملة من غير سبب شرعي أن تقوم بهذا الواجب - الزواج بأخي زوجها الميت- فتصير "موريديت" بمعنى عاصية ولا يجوز لها في هذه الحالة الزواج مرة أخرى. وبحكم عليها بتوجه اليمين ضمانة للورثة بأنها لم تأخذ شيئا من أموال زوجها المتوفى. وجاء في حكم بحكمة إسرائيلية ما نصه : "أن زوجة الهالك يتحتم عليها الزواج بأخي زوجها وإلا فتصير "موريديت" بمعنى عاصية ولا يحل لها أن تتزوج مرة أخرى"(8).

2- أن الزوجة المسلمة لا يحرمها على زوجها زناها ولا الزنا بمحارمها بنص الحديث النبوي الشريف : «**لا يحرم الحرام الحلال**» وتطبيقا لهذا المبدأ قال فقهاؤنا فيمن تزوج بكرا فزنت قبل الدخول بها وافتضت بكارتها : "الزوج بالخياران شاء طلق وأعطاها نصف الصداق، وإن شاء أمسكها زوجة له بعد إقامة الحد عليها".

بينما الزوجة اليهودية تحرم على زوجها إذا زنت أو كلمت من نهاها عن تكليمه ولا تستحق شيئا من حقوقها. يقول ألي مالكا : إذا ثبت شرعا زنا المرأة حرمت على زوجها وأمر بطلاقها بدون أن يؤدى لها حقوقها(9).

3- أن المسلمة الحائض يجوز لزوجها الاستمتاع بها بما فوق الإزار بينما الزوجة اليهودية إذا حاضت أخرجت من البيت ولم يجامعوها فيه استقداراً لها روى أبو داود عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت. فسُئل النبي ﷺ عن ذلك فأنزل الله سبحانه : ﴿**ويسالونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾ فقال رسول الله ﷺ : «**جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح..**»(10) .

رابعا :في موضوع الطلاق

يسجل للزوجة المسلمة على غيرها النقط التالية :

1- أن الطلاق في الإسلام لا يعني الحرمة المؤبدة بين الزوجين ولا الحرمان من الزواج بعده ولا استحالة الجمع بين المرأة ومطلقها في ظلال زوجية جديدة وحتى في الطلاق الثلاث يبقى الأمل قائما والباب مفتوحا في وجه الزوجين إذا تزوجت غيره وطلقها أو مات عنها كما قال تعالى : ﴿فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾(البقرة : 228).

أما المرأة النصرانية إذا طلقت فلا يبقى لها أمل في الزواج طول حياتها وليس أمامها إلا أن تختار أن تعيش عيشة الراهبات محرومة مما تستمتع به الزوجات من حقوق الزوجية والمعاشرة أو تعيش عيشة الخليلات والمتخذات أخدان كل يوم خدن تسافحه ويسافحها، والمرأة اليهودية لا أمل لها في مراجعة زوجها والعودة إلى بيتها والعيش مع أبنائها ويحرم على زوجها مراجعتها إذا تزوجت رجلا آخر بعده أو كانت عقيما أو سيئة السيرة(11).

تتمة: ص 13

استطلاع

حـــــوارنسـوي هـــادف

د.محمد أبياط

إن كل من يريد أن يتحدث عن أوضاع المرأة المغربية يجب عليه أن يحدد عدة منطلقات: تاريخية، وبيئية وعقدية، ليكون موضوعيا نزيها، معززا بالشواهد الواقعية القابلة للمناقشة وترداد القول بين المهتمين المطلعين.

فالمنطلق التاريخي يعني - عندنا - تحديد المرحلة الزمنية التي يختار الباحث أن يكتب أو يتحدث عن أوضاع المرأة المغربية خلالها.

■ والمنطلق البيئي يعني التمييز بين بيئة البوادي والأرياف، وبين بيئة المدن الكبرى والصغرى، والمكانة الاجتماعية.

■ والمنطلق العقدي يعني الحال العلمية، والقدرة الفكرية، والمرتبة الإيمانية.

ومن حيث المنطلق العقدي يمكن تصنيف المرأة المغربية - على الإجمال - إلى ثلاثة أصناف:

أ- العالمة بحقائق الإسلام، المتشبثة بمبادئه الملتزمة بأحكامه، المتحلية بآدابه.

ب-الجاهلة بالإسلام، المتذبذبة في اعتقادها، المترددة في مواقفها المضطربة قي سلوكها.

ج-المتنكرة للإسلام، الجاهلة بخصائصه ومميزاته التي ضاق عقلها - أو سُد - عن إدراك فضائله ومحاسنه.

وما لم تُستقص الحيثيات والصور والوجوه التي تشكوها المرأة المغربية فإن كل كلمة أو بحث أو مقال يبقى موسوما بالسطحية والجزئية، موصوما بالتحيز لفئة معينة موصوفة، وبإهمال فئات كثيرة، وبذلك لا يحظى بأية مصداقية علمية ولا واقعية، ولا يعالج الأوضاع من أصولها، بل يكثر فيه الهدر واللغو، ويلتبس فيه الحق بالباطل، والموضوعية بالانتهازية، ويخلط فيه التعقل بالتعصب، والتسيب بالانضباط.

هذه وجهة نظر قدمت بها لاستفتاء نسوي نوعي وحوار جدِّيّ، وصلني، وطُلب إليّ تحريره، واشتُرط عليّ أن أكون أمينا فلا أُحدث تغييرا في المحتوى، فاستأذنت في التقديم له بما ذكرت، فأُذِن لي.

أ- استفتاء نسوي نوعي

لقد أُجري استفتاء بين مجموعة من النساء بإحدى المدن المغربية الساحلية في قضيتين أساسيتين، صيغتا على شكل سؤالين هامين هما:

أ- هل أنت راضية عن وضعك الحالي؟ أو ترغبين في تغييره كلا أو بعضا؟

ب- بأي شيء تريدين تغييره: بنظام الشرع الإسلامي؟ أو بالقانون البشري؟

فكانت الإجابة عن السؤال الأول بالرغبة في التغيير بنسبة(50.95٪) مع اشتراط التغيير إلى أحوال أكرم وأشرف، وشملت هذه النسبة المسلمات الملتزمات عن علم واقتناع، والمتذبذبات المتمسكات بالإسلام عن طريق الوراثة والتقليد، وكذلك المتنكرات للإسلام بصفة إجمالية.

وبهذه النسبة العالية الراغبة في التغيير، تميزت نسبة ضئيلة جدا من النساء المغربيات بتلك المدينة الراضيات بالواقع، المقتنعات بأوضاعهن كما هي، وهن يحرصن على استمرارها، ولا يفكرن في تغييرها ما دامت كذلك، وهذه النسبة القليلة تشمل الأميات وأشباه الأميات، وأكثرهن من الطبقة المحظوظة جاهاً ومالا وسلطة.

وكانت الإجابة عن الشق الأخير من السؤال الثاني بنسبة واحدة في ألف امرأة، اختارت التغيير عن طريق القانون البشري، واختار تسعمائة وتسع وتسعون من كل ألف التغيير عن طريق الشرع الإسلامي بشرط أن يفي بالأغراض ويحقق المقاصد.

ولكن لما سئلت تلك التي اختارت التغيير عن طريق القانون الوضعي عن موقفها، أجابت بكل بساطة بأنها لاتعرف عن الإسلام أنه يجدي في معالجة هذا الموضوع، وأن ما تسمعه وتقرؤه عن إمكانية القانون البشري في المعالجة أكثر مما تعرفه عن قدرة القانون السماوي في إصلاح الحياة البشرية. فقيل لها على سبيل الاستدراك:

إذا أجري معك حوار في إثبات كفاءة الشرع الإسلامي، وتَبيّن لك الخطأ في موقفك فهل تتشبثين به، أو تفضلين الاختيار الإسلامي؟ فأجابت على البديهة (أنا لست معتوهة حتى أتمسك بالخطأ،ولكنني أبحث عن أية وسيلة تعيد إليّ الاعتبار، فإذا استطاع الإسلام أن يحقق لي عزتي ومكانتي فأنا مسلمة أصلا).

تعليقي : (يؤخذ من هذا أن أصحاب القانون الشرعي لم يعرِّفوا المسلمين بحقائق التشريع الإسلامي على الوجه الذي يحافظ على مشاعرهم وأحاسيسهم الإيمانية وارتباطهم بالإسلام.

كما يؤخذ منه أن أصحاب الدعوة إلى القانون البشري نشطوا في نشره، وأحسنوا عرضه، وزينوا للناس مظاهره، وقربوا إليهم بعض ثماره وفوائده المحسوسة، فانجذبوا إليه، ورحبوا به، وأسلموا مقاليدهم، ولم يحتفظوا من الإسلام إلا بمظاهر زائفة ولافتات متآكلة، وكلمات تائهة.).

وقد حاولت الإحصائية أن تحظى بامرأة واحدة ترفض النظام الإسلامي جملة وتفصيلا وعن اقتناع علمي، فلم تحظ بها في منطقة يتجاوز عدد سكانها عشرين ألفا.

تعليقي: (بناء على ما ذكر، فإني أرى أن تُعذر المرأة المغربية الراغبة في تحسين أوضاعها بأية وسيلة، لأنها لم تعطَ حظها من فقه الإسلام وتربيته، فسُلطت عليها أضواء من القوانين البشرية، فبهرها شعاعها، والإنسان بطبعه ضعيف، ما لم يُقوَّ ويزود بوقايات وحمايات يقدِر بها على مواجهة حملات الإغراء والذوبان.

وإذا كانت هذه النسبة في ساكنات المدن الكبرى والصغرى فإن ساكنة البادية، رغم عنتها وبؤسها الذي لا يتصوره إلا ابن بيئتها، ولا يحس بآلامها إلا من كابد وعانى قسوة البادية وشدائدها، فإنها ما إن تُمَس في إيمانها حتى تغضب وتنفجر، وتهدر وترعد، فهي مؤمنة رغم أميتها، وهي كريمة رغم شظف عيشها، وهي موثرة رغم حرمانها، وهي مناضلة رغم وحدتها وإهمالها... هي مؤمنة مسلمة تحمد ربها على السراء، ولاتقول إلا خيراً إذا مسها الهم والضراء.

ذهبتُ لتعزية أم بضواحي فاس، توفي ولدها من جراء حادثة سيارة، فكان مما نطقت به صابرة محتسبة، ثابتة، رابطة الجأش، أن قالت: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، أسأل الله تعالى أن يتقبله مني، ولا يحرمني أجره، وأن يجمعني معه في الجنة، وأن يبارك لي في إخوته) ثم أضافت: (علمت وتيقنت أن ولدي كُتب عليه الموت بهذه الكيفية عندما كان جنينا في بطني.)

وأشهد أنني اضطربت وأخذتني قشعريرة عند سماع هذه الكلمات من امرأة أعرف أنها لم تلج مدرسة ولا كُتاباً، ولا تعرف قراءة ولا كتابة، وأن عملها في الداخل شؤون البيت، وفي الخارج عمل الفلاحين. فقلت في نفسي: أنا أحرى بالتعزية من هذه المرأة! لأنني أفتقر إلى مثل هذا اليقين، الذي يثبت الله به عبده المومن عند المكاره، ويهون به عليه مصائب الدنيا.

ب- حوارنسوي هادف

وفي لقاء مع سيدات وأوانس: طالبات جامعيات، وزوجات وأمهات وربات بيوت وموظفات وعاملات... انعقد لقاؤهن لدراسة هذا الاستفتاء ومناقشته، فاخترن إحدى الباحثات في علم الاجتماع، وأسندن إليها تنظيم اللقاء وتأطيره وتسييره، ولما اكتمل الجمع وانتظم المجلس، أخذت المؤطرة تلقي سؤالا بعد سؤال، وتتيح الفرصة لمناقشة السؤال تلو الآخر، وهذه نماذج من تلك الأسئلة:

1- من هي المغربية التي ترغب في التحرر؟

فكادت الإجابات تتفق على أن النساء المغربيات كلهن يردن التحرر، لكن مع تحرز البعض وتحفظه من مفهوم التحرر، أي أن المرأة المغربية غالبا ما تتروى وتتأنى في الإجابة، حتى تتيقن من مضامين الألفاظ، وتتذوق معاني المصطلحات، وهذا يدل على التعقل والرزانة.

2- وما الذي تريد المرأة المغربية أن تتحرر منه؟

جاء الإجماع على أنها تريد التحرر من كل عنف وظلم وإهانة، ومن كل قيد يكبل فكرها ورأيها وحريتها العامة.

3- هل تريد المرأة المغربية أن تتحرر من كل قيد على الإطلاق؟ أو أنها وضعت حدوداً وضوابط تراعيها في مسيرتها نحو التحرر والانعتاق؟.

وكانت الإجابات توشك أن تحقق الإجماع على ضرورة مراعاة الضوابط والحدود، حتى لا ينقلب التحرر إلى التسيب والاعتداء على حريات الآخرين، وبذلك يتسلط القوي على الضعيف.

وتتكرر هذه الفوضى على مدى العصور وفي مختلف البلدان، كلما أهمل الراغبون في التحرر نظام التحرر الحق وضوابطه وحدوده، وكلما تجاوزوها متهافتين في حمّى الجنون والفوضى.

4- وما هي الجهة التي يمكن أن يوثق بها ويُطمأن إليها في ترتيب الضوابط المؤطرة للمسيرة التحريرية عند المرأة المغربية والرجل المغربي على السواء؟

اتحدت مضامين إجابات المثقفات -ولو اختلفت الألفاظ- في الأوصاف، لا على الجهات، وأكدن أنهن لن يخترن لهذه المهمة الخطيرة إلا من توفر فيه العلم الدقيق الشامل، والتجرد من المصلحة الشخصية، والأنانية المتحكمة، وعُرِف بالنزاهة في المقاصد، حتى لا يستعبَدن لأي طرف ولا يُكرهن على اتباع أية جبهة!

5- هل تفرِّق المرأة المغربية بين الشروط والضوابط التي من شأنها أن تؤطر وتنظم وتوفر الكرامة والسيادة، وتوجهَ الإنسان إلى جهة واحدة، وبين الضوابط والحدود التي تختلف في منشإها وأهدافها، وبذلك تسوق الإنسان إلى وجوه مختلفة من الخضوع والاستسلام لجهات متعددة؟

أجاب بعض النساء: إن المرأة لا تستطيع أن تدرك هذه الفوارق إلا إذا كانت حرة في تفكيرها، وإبداء رأيها، وعلى بينة بماضي الأمة، عالمة بحاضرها مهتمة بمستقبلها، متيقظة لما يُعرَض عليها.

6- وما هي - في نظركن الأسباب التي نشأ عنها وجود أشكال وصور من القهر والجور الذي تعانيه المرأة المغربية؟

جاءت الإجابات متكاملة: يعود بعضها إلى العادات والأعراف والتقاليد، وبعضها إلى سوء التربية وبعضها إلى فساد الطباع وتعمد الظلم، وبعضها إلى غياب القانون الزاجر، وبعضها إلى غياب الشرع الحكيم.

7- ولما قيل لهن: **أيهما يغني عن الآخر: الشرع يغني عن القانون،** أم القانون يغني عن الشرع؟

أجابت المثقفات: إن الشرع الحكيم يغني عن القانون لو كان مطبقا.

8- ثم قيل لهن: إذن أنتن تعلمن أن ما طُبق من القانون لم يحقق للنساء ما يردنه من الحرية والكرامة، فهل تعلمن لماذا لم يُطبَّق الشرع الحكيم؟

هل لعجز الشرع؟ أو لمنعه من التطبيق؟ أو لقلة الراغبين فيه؟

تنوعت الإجابات، وكان أغلبها ينص على أن الشرع الحكيم يُمنع ويُحال بينه وبين تطبيقه!

9- فسُئلن: **ولماذا أتيح للقانون أن يُعمل به، مع اختلاف مصادره، وعجزه وقصوره؟**

ومع كون السؤال حرجاً، فإن بعضهن أجاب على البديهة: لأن دولتنا دولة القانون وليست دولة الشريعة الإسلامية!

وبينما المستجوب يدوِّن هذا الجواب إذا بامرأة تهمس لمن حولها قائلة: كان يجب على المرأة المغربية أن تعرف من ظلمها قبل أن تهُبّ إلى المعركة.

فقالت لها إحداهن: أنا متيقنة أن البشر هو الذي ظلمنا، رجالا ونساء، فلا شرع الله يطبق، ولا قانون ينفذ، كما عند الدول الغربية.

واتسعت دائرة الحوار بين النساء، وصار المحاور يسجل الآراء والردود كما يسمعها دون نقاش.

قالت إحدى الأمهات: أنا لا أفهم ما ذا تريد هذه المرأة الصارخة؟ هل تريد تحرير المغربية من الحيف والاستبداد؟ أو أنها تريد تحررها من الإسلام كأنه هو الذي ظلمها وأهانها!

- وقالت إحدى الموظفات: أنا أخشى من الخلط المقصود بين رغبة المرأة المغربية في التحرر من العنف والاضطهاد، وبين الرغبة الخفية -عند البعض- في إبعاد الإسلام عنها، وإبعادها عنه!

وقالت إحدى النساء متحسرة: إننا لعلى يقين أن كثيرا من الذين يتهمون الإسلام يعلمون حقاً وصدقاً أن الظلم الواقع على المرأة والرجل، ليس مصدره الإسلام الحق، ولكنهم لحقدهم على الإسلام يلصقون به وبأتباعه كل باطل، بل منهم من يصطنع الظلم ويتهم به الإسلام والمسلمين، وذلك لحاجات في نفوسهم وفي نفوس ساداتهم.

إنهم اتخذوا من المرأة -لكونها انفعالية وعاطفية وحماسية أكثر من الرجل- سلاحا لضرب الإسلام والوطن المسلم والمرأة المسلمة نفسها.

إنهم يحاربون الإسلام بأقنعة تستر حقائقهم، وتخفي مكائدهم ولكنهم ينكشفون في لحن القول!

ثم أنهت كلمتها الهادئة المتوجعة قائلة:

هل تريد المرأة العاقلة حقوقاً غير التي حددها لها ربها سبحانه؟ أم إن هؤلاء جعلوا المرأة آلة في أيديهم يوقدون بها نار الفتنة في هذا الوطن، ويحركون بها الجمر ليلتهب كلما أوشك أن يخبو أو ينطفئ.

ألا فلييأسوا وليخسأوا إن لم يتوبوا.

وضع المرأة المغربية في ظل مدونة الأسرة الجديدة

مكانة المـــــرأة في الإســـــلام

أ.د. جميلة زيان(*)

بما أن المرأة المغربية امرأة عانقت نور الإسلام، وبما أن الإسلام كرم المرأة أعظم إكـــرام، كـــان لابد أن نتلمس الرؤية الإسلامية الصحيحة لمكانة المرأة من مصادر هذا الدين الأصيلة، وأولها القرآن الكريم ثم السنة المطهرة.

وهكذا فإن الأصل في خطاب الشارع الحكيم، قرآنا وسنة، أنه موجه للرجال والنساء سواء، بدءا من تقرير الكرامة الإنسانية إلى تقرير المسؤولية الجنائية، على أن هناك فوارق محدودة قررها الشارع في وضوح، لكن يظل الأصل هو المساواة والفوارق استثناء من الأصل، وهو يتضمن وجوب مشاركة المرأة في مجتمعها على جميع الأصعدة؛ ولا غرو فالمرأة في نصوص هذا الدين:

● **شـــريكة للرجل في الإنســـانيـــة والتكريم**، يقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقـوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾(النساء : 1) ويقول : ﴿ولقد كرمنا بني آدم...﴾(الإسراء : 70).

● **وهي شقيقته في الأحكام، حيث قال نبي الإسلام:** (إنما النساء شقائق الرجال في الأحكام)(1)

● **وهي شـــريكتـــه في المســـؤوليـــة والتكليف والجزاء**، إذ قرر سبحانه أنه: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة...﴾(النحل : 97)، وقال: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقـــانتين والقانتات... أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾(الأحزاب : 35).

● **وهي مساوية له في حق طلب العلم، بل في وجوب طلبه**، حيث جعل الرسول ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم)(2)، ويكفي أن نذكر في مقام هذه الشراكة العلمية أمنا عائشة رضي الله عنها التي أخذت نصف الدين عن رسول الله ﷺ، وبزت الرجال في الفتوى والاجتهاد، وشاركت كثير من الصحابيات في رواية السنة وتعليم الناس(3)، وكانت إحداهن تسأله عليه السلام تخصيصهن بيوم يلقاهن فيه، فيوافق عليه السلام(4)...

● **والمرأة مســـاوية للرجل في حق العمل والكسب**، حيث قرر سبحانه أنه: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾(النساء : 32) وقد كانت السيدة خديجة تشارك في بناء اقتصاد مجتمعها عن طريق التجارة، وكانت صاحبة مال ونفوذ.

وكان من النساء في زمن النبي من تعمل في الزراعة ، ومن تعمل في الرعي، ومن تعمل في الحياكة والنسيج، ومن تعمل في الصناعات المنزلية، ومن تعمل في إدارة عمل حرفي، ومن تعالج المرضى وتداوي الجرحى(5)...

● **وتحقيقا للعدالة الحقة سوى الإســـلام بين الرجل والمرأة في الإرث من الوالدين والأقربين**، بعد أن كانت المرأة متاعا يورث: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾(النساء : 8). وجعل ما يرث كل منهما متناسبا مع ما هو ملزم شرعا بانفاقه: ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾(النساء : 11).

● **وسوى بينهمـــا في المســـؤوليـــة القانونية والجنائية**، فجعل العقوبات تطبق عليهما على حد سواء: ﴿والسارق والسارقة...﴾(المائدة : 38) ﴿الزانية والزاني...﴾(النور : 2).

● **وحين ربط بينهمـــا برباط السكن والمودة والرحمة في الزواج**، حيث قال: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(الروم : 20)؛ سوى بينهما في المسؤولية عن الرعاية الأسرية؛ فالرجل راع في بيته والمرأة راعية في بيتها . وفي إطار هذه المسؤولية المشتركة تفهم الواجبات، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل والقدوة في ذلك، فقد سئلت عائشة : "ما كان النبي يصنع في البيت؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله- تعني خدمة أهله- فإذا سمع الأذان خرج"(6)، كما حث الرسول ﷺ على معاونة المرأة لزوجها في الإنفاق، خصوصا في حالة الفقر، فقال: "لها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة"(7).

● **والمرأة أيضا مدعوة للمشاركة في المسؤولية السياسية عن إصلاح المجتمع وتقويمه؛** قال سبحانه: ﴿والمومنون والمومنات بعضهمُ أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾(التوبة : 72). وبهذا الأصل، ضمن الإسلام للمرأة الحق في المشاركة الفعلية في تسيير الحياة في كل مجالاتها، ومن مختلف مواقع القرار. ولعل تعيين النساء في المجالس العلمية منذ سنة 2004م، تجسيد واضح لهذه الشراكة العلمية والدينية والإصلاحية القائمة بالتصور في القرآن وبالفعل في سيرة السلف الصالح.

● **وعلاوة على هذا ، فإن الإسلام ضمن للمرأة الحق في التواصل مع الأمة وقضاياها** وليس مع المجتمع فحسب، وذلك حين احتملت المسلمة الأولى مع أخيها الرجل مسؤولية بيعة رسول الله على الالتزام بنصرة الدين، وتعطينا نسيبة بنت كعب المازنية(8) مثالا صادقا في الارتباط بالأمة وفهم أبعاد مسؤولية المبايعة عن العقيدة عند المرأة.

وهكذا تتزاوج نصوص القرآن ونصوص السنة والسيرة لتعطي صورة مشرقة عن الشراكة القائمة بين الرجل والمرأة، في مجتمع مسلم، تتكامل فيه الأدوار بين الجنسين، وتصان فيه الحقوق وتؤدى الواجبات، وتبرز فيه الخصوصيات، فلم تكن المرأة فيه تشتكي ظلما ولا ميزا ولا تطلب حقا، ولم يكن الرجل فيه مستبدا برأيه، مهيمنا برجولته.

ودارت عجلة الزمان، وشهد التاريخ الإسلامي عبر حقبه، خصوصا بعد التجربة النبوية، انحسارا عطل قاعدة مشاركة النساء في البناء، بسبب البعد تدريجيا عن تعاليم الدين الأصيلة، والتمسك برؤى وأفكار دخيلة أو تقاليد وأعراف فاسدة، أسهمت فيها ظروف مختلفة، اقتصادية واجتماعية وسياسية- وحتى دينية أحيانا- وكان لهذه الظروف أثر في تنزيل النص الديني وتأويله بشكل ضمن -مع مرور الزمن- بعدا حقيقيا عن روح النص وجوهره، وحتى صارت نصوص الدين مصدرا ثانويا بعد نصوص الفهم البشري، وصار الإسلام من حيث وحي إلهي يحاكم بالتجربة التاريخية للمسلمين القابلة للصواب والخطأ. وهذا الواقع أثر على الأوضاع العامة للأمة، ووضع المرأة لا ينفصل عن وضع الأمة، حيث تم حظر تعليم المرأة، وأقبرت مواهبها بدعوى سد الذريعة ومنافذ الفتنة وغواية الشيطان... وما كان للفهم الخاطئ وما جره من شل لحركة المرأة في الواقع أن يستمر، فارتفعت الأصوات وتضافرت الجهود لتحرير المرأة من قيود الأعراف الفاسدة والأحكام الجائرة، وإشراكها في الحياة العامة، إلا أن ذلك التحرير في جملته لم يتم على شرط الإسلام الصحيح، بل زج بالمرأة في خضم الحياة المعاصرة، وجعلها في أحسن أحوالها سلعة اقتصادية، فكسر بذلك القيم الفاضلة التي تنبني عليها نواة كل المجتمعات، ألا وهي الأسرة.

والمجتمع المغربي أسوة بباقي المجتمعات العربية والإسلامية، عرف تطورات تاريخية وتقلبات اجتماعية تأثرت في كل حقبة من الحقب بمجموعة من العناصر الحضارية والفكرية السائدة، ومنها اجتهادات فقهية هي أقرب إلى الأعراف منها إلى سنة رسول الله ﷺ، حجبت سماحة الإسلام ووسطيته واعتداله، وقد كان التراجع الخطير لدور المرأة الاجتماعي نابعا من هذه التقلبات التي همشت هذا الدور، ليصبح مقتصرا على وظيفة الإنجاب وتربية الأبناء.

لكن هل اقتصرت المرأة المغربية على هذا الدور -رغم أهميته وبعده التنموي الخطير- أم ناضلت لاحتلال مواقع أخرى في البناء المجتمعي؟

جواب ذلك من خلال رصد أوضاع المرأة المغربية بين الماضي والحاضر، موضوع العدد القادم إن شاء الله تعالى.

(*) شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب سايس- فاس.

1- رواه أبو داود في صحيح الجامع الصغير برقم: 2329.

2- صحيح الجامع الصغير لابن ماجة، رقم الحديث/3808. والحديث يشمل الجنسين كما أجمع العلماء.

3- ينظر : المرأة المسلمة في العهد النبوي لإسماعيل الخطيب/ ص11-7.

4- يشهد لذلك ما رواه البخاري في الاعتصام عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه برقم : 7310.

5- يراجع في هذا الباب: تحرير المرأة في عهد الرسالة لعبد الحليم أبوشقة: الأجزاء/ 3،2،1.

6- رواه البخاري في كتاب النفقات،عن عائشة- رضي الله عنها-، برقم: 5363.

7- رواه البخاري في الزكاة، عن أبي سعيد الخدري، برقم 1466.

8- ينظر: واجبات المرأة المسلمة ومسؤولياتها لجميلة مصدر/ص 9.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 -الدكارات

فاس -المغرب

مجرد رأي

الفن النظيف....

ذ. عبد القادر لوكيلي

س: ما رأيك في مقولة الفن النظيف؟

ج :أرفضه بشدة، هذا مفهوم دخيل على ميدان الفن

هذا مقتطف من حوار مع إحدى "الفنانات" على إحدى قنواتنا المصونة. طبعا أنا متفق على طول الخط مع (الهانم الفنانة) وذلك لسبب بسيط وهو أن الأصل لما يتغير ويتميع وينحرف عن أهدافه الأساسية، فلابد من إضافة صفات جديدة له تعيد له مفهومه الأصلي، وتعيد له وظيفته ورسالته النبيلة قبل أن تسرق منه. فمفهوم الفن- شأنه في ذلك شأن جميع المفاهيم الأخرى - ارتبط دائما بالجمال والحسن والسمو بالأذواق وتهذيبها وفق القيم والمرجعيات التي ارتضاها مجتمع من المجتمعات ونشأ عليها أبناؤه. وبذلك تحافظ المجتمعات على قيمها ومبادئها وهويتها على امتداد العصور والاحقاب... فهذا هوالمفهوم الحقيقي للفن قبل أن يلوث ويحرف عن أهدافه الحقيقية... وقبل أن يمتطي صهوته كل من دب وهب من أدعياء الفن والفن منهم براء، والذين اختلط عليهم البقر فصاروا يهرفون بما لا يعرفون، فادخلوا كل قبيح ورذيلة على الفن حتى صار عفنا، حتى أن أحد المخرجين قال ذات يوم في برنامج على إحدى قنواتنا : (عَرِّي إيلا بغيت تبيع) أي إذا أردت أن تبيع أفلامك السينمائية فما عليك إلا أن تقحم فيها مناظر الإثارة الجنسية والخلاعة، فالرجل - والشهادة لله- (قد لسانو قد دراعو) فكل افلامه خلاعة وفجور وعري!!

وأعف أن أقول أكثر إذ أن الواضحات من المفضحات...

فلا عجب إذن من هذه الموجة المحمومة من أفلام الدعارة والمجون في القاعات السينيمائية وشاشات التلفزيون... حتى أن المواطن العادي أصبح يأنف من مشاهدة هذه الرداءة وما أكثر المهرجانات السينمائية الفاشلة التي غادرها جل روادها لهول ما رأوا من بذاءات يندى لها جبين الحياء... فهذا صنف واحد من أصناف الفنون التي استكثرت عليه (الهانم الفنانة) أن ينعت بالفن النظيف...

أما الصنف الثاني والذي استحدثته الفنانة إياها فهو"فن لغة الجسد في المسرح" ولكم يا سادة يا سامعين! أن تتصوروا أي لغة لجسد مبتذل حتى لا أقول أكثر.

وإذا أضفنا لكل هذا وذاك عروض مسرحية (ديالي) التي قامت بها فرقة نسائية تسير على نفس المنوال، اكتملت الصورة التي يراد تسويقها للناشئة عن الفن، وعندها فقط نفهم سبب اعتراض الفنانة على مفهوم الفن النظيف لأن الفن الذي يروجون له ليس نظيفا بأي حال من الأحوال، ومن العبث محاولة وصمه بالنظافة وهو قد أصبح لدى هؤلاء متسخا كغراب تحاول عبثا تبييض ريشه.

ومادام الشيء بالشيء يذكر، أريد أن اختتم هذه اللوعة بمشهد مسرحي سريالي أبت (الهانم الفنانة) إلا أن تختم به أحد عروضها المسرحية الرفيعة!! وقفت على الخشبة منهكة ضارعة تشكوا ظلم المتطرفين لها ولفنها وعبقريتها!! فتصادف أن ارتفع آذان العشاء بصوت جميل من مسجد مجاور للمسرح، فالتقطت الفنانة الخيط بدهاء فصاحت في الجمهور في انفعال وخشوع : "اسمعوا ألم أقل لكم إن الله جميل يحب الجمال"...

اللهم ألهمنا الرشد واليقين واجنبنا الفساد والمفسدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خروة في سفينة المجتمع 27

الغش ذلك الخرق اللعين

د. عبد المجيد بنمسعود

المفروض في سفينة المجتمع أن يقوم الأمر فيها على الاتساق بين المبدأ والسلوك، وبين الأقوال والأفعال، في نطاق منهج صارم يحكمه منطق مراقبة الله عز وجل، وابتغاء رضوانه ودخول جنته، ليكون ذلك أساسا مكينا لشيوع الأمن النفسي والسلام الاجتماعي بين الناس، ويعبر الإسلام عن هذا الوضع المثالي الرفيع بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهي المقومات التي تتضمنها سورة العصر.

أما إذا وقع الإخلال بتلك المقومات، بعضها أو كلها، بمقدار من المقادير، أو نسبة من النسب، في كيان الفرد والجماعة داخل سفينة المجتمع، فإننا نكون في مواجهة وضع رديء يحمل عنوانا صارخا بالشناعة ومنذرا بالأخطار، المتمثلة في إحداث خرق مهول فيها، لا يزال يتسع ويتفاقم، حتى يؤدي بها إلى الغرق والاندثار، إنه عنوان الغش الذي يناقض حالة الاستواء، التي ينبغي أن يكون عليها الفرد والجماعة على حد سواء، فهو حالة مرضية تعكس اختلالا في الكيان، تعبر عن نفسها في كل مظاهر الحياة، وتخترق شبكة العلاقات برمتها وتصيبها بالتمزق والتلاشي والانهيار، نتيجة شيوع الشك وتزعزع الثقة التي هي صمام الأمان، والضامن لاستمرار ذلك الكيان، على قاعدة من التفاعل الإيجابي البناء.

والغش كما يعرفه: المناوي هو: "ما يخلط من الرديء بالجيد"، فيؤدي ذلك إلى أن يفقد صفته الحقة وخصائصه الأصيلة، فيصبح هجينا مشوها، ويكف عن أداء الوظائف التي وجد لأجلها، كأن يخلط الماء باللبن، أو العسل المصنوع بالعسل الخالص، وقس على ذلك مما أصبح معروفا لدى الناس. وانطلاقا من واقع المعاملات، يمكن أن ندرك أن فعل الغش قد لا يتجسد دائما في صورة خلط الرديء بالجيد، وإنما في صور أخرى كالنقص والإخسار في الميزان والتطفيف في المكيال، بطريقة تخفى على المستهدفين بذلك الفعل، مما يعطيها صفة الخداع، الذي ينطلي على قطاع واسع من الناس، فيسلبهم حقوقهم، ويلحق بهم أضرارا مادية ومعنوية.

وبتأملنا في هدي الإسلام، يتبين لنا بجلاء، أن الغش محرم في أقل مظاهره، فقد **مر النبي ﷺ على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً. فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني» وفي رواية «من غشنا فليس منا» وفي رواية «ليس منا من غشنا»**(رواه مسلم). أما أن يتخذ الغش صيغا بالغة التعقيد والخفاء، فتلك الطامة الكبرى التي تلوث الحياة على متن السفينة و تقصم ظهرها في نهاية المطاف. وواضح من خلال نص الحديث النبوي الشريف، أن الغش يسلب مقترفه صفة الانتماء إلى أهل سفينة المجتمع الممثلين لجماعة المسلمين **«من غشنا فليس منا»**، كما يسلبه شرف الانتساب إلى الرسول الأسوة ونبي الرحمة سيدنا محمد ﷺ، **«من غش فليس مني»** وهناك حقيقة أخرى في الحديث، تبرز بهاء الإسلام وشمول نظرته إلى الإنسانية جمعاء، باعتبارها سفينة كبرى يؤثر قاصيها على دانيها **«من غش فليس مني»**.

إن ممارسة الغش في مجتمعنا أصبحت من التفاقم واتساع الرقعة، بحيث تكاد أن تصبح هي القاعدة، نظرا لسوء تدبير شؤون السفينة، وعدم ضبط مقاليدها بالصرامة اللازمة التي تضرب على أيدي الغشاشين بيد من حديد، وتجعلهم عبرة لمن يعتبر، وقبل ذلك وبعده بإشاعة التربية الإسلامية التي ترسخ مخافة الله في النفوس، ورجاء اليوم الآخر، مما يشير إليه قول الله تعالى متوعدا الغشاشين من أهل التطفيف والإخسار، **﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾**(المطففين : 1- 6)، فليس غريبا أن تضطرب أحوال السفينة، والحال أن الثقافة التي يراد أن تسود فيها وتنتشر انتشار النار في الهشيم، هي "ثقافة" الشطارة والاحتيال، والنزوع الجارف إلى جمع الحطام المسموم، أو إلى اعتلاء المناصب القيادية بغير المؤهلات اللازمة لذلك من حفظ وعلم وأمانة، أو بمؤهلات مزيفة موهومة، عن طريق البيع والشراء، فيما لا يباع ولا يشترى.

وليس غريبا أن تتسمم الأجواء، وتكثر الآلام ويتساقط الضحايا بالملايين، ويعم الشقاء، حتى إن الكثيرين يفضلون أن يلقوا بأنفسهم خارج السفينة قبل الغرق المحتوم، في حال استمرار السفينة في إبحارها نحو المجهول، لما يرونه تخفيفا عنهم مما يجدونه من شديد المعاناة داخل سفينة ينهكها الظَّلَمَةُ، ويخرقها الغشاشون من كل جانب.

إن واقع سفينة مجتمعنا طافح بالغش والغشاشين من جميع العيارات والأصناف، حتى إنه ليمكن أن يؤلف الناس موسوعة ضخمة مما تفتق عن رؤوس أولي الغش من طرق وأساليب، وقد يكون من مظاهر المأساة أن يضطر أهل الاستقامة والصلاح في تلك السفينة إلى معرفتها لتجنب انطلائها عليهم، ريثما يعاد بها إلى الجادة.

إن الذي يدرأ الغشاشين عن سفينة المجتمع، ويطهر ها من رجسهم، هو إعادة هيكلتها على أساس قيم الإسلام الداعية إلى الصفاء والوفاء، والنصيحة لله تعالى ولكتابه ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، فلا يكاد يظهر وجه من وجوه الخلل بلونه الكالح حتى يسارع أهل السفينة بجميع فئاتهم إلى طمسه وإبطاله، في حركة تضامنية يقظة لا هوادة فيها، وإلا فلينتظر الطوفان، لا قدر الله!

اِستجب يُستجَب لك

ذ. رشيد الميز

في كثير من الأوقات تكون النفس أحوج ما تكون إلى الارتماء في أحضان الدعاء بعد سبح طويل وسعي بين العباد ويكون الفؤاد في شوق لغيث الرحمن الرحيم القائل عز و جل في سورة البقرة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:186).

إن هذه الآية قمة الجمال والكمال و الجلال: الرب عز وجل خالق الأكوان قريب من العباد. ومن منا لا يأنس وتطيب نفسه مع الحبيب الذي يتعلق قلبه به. فيعيش في حالة من الأمن والأمان، والسكينة والهدوء والاطمئنان، لا يفتر عن ذكره وتذكره ويجد صورته حيثما ولى وجهه، وينتظر بلهفة أوقات اللقاء به.

وفي هذه الآية النورانية شعاع عجيب ينبغي أن ننتبه إليه.

ما سئل النبي ﷺ عن أمر إلا وكان الجواب من الله تعالى لرسوله ﷺ بقوله جل وعلا: قل كذا وكذا، قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة:189)...

إلا في هذه الآية، لم يقل: قل: يا محمد إني قريب، لماذا؟ حتى لا تكون هناك واسطة بين العبد وبين الله جل وعلا، ولو كانت هذه الواسطة هي رسول الله ﷺ. فلا واسطة بين العبد وبين الله، فهو العليم السميع البصير القريب المجيب الدعاء : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾(البقرة:186)

إن وظيفة النبي أو الداعية هي وصل الناس بالله ولا تكون ذاته هي المحور من العملية الدعوية والتربوية. وقد ورد مثال عن ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(المائدة : 116).

إن الله تعالى هو واجد الوجود وواهب الجود الذي له نعمة الإيجاد والإمداد والهداية والرشاد فهو الوحيد والواحد الأحد الذي يُسْتَمَدُّ منه ويطلب منه ويستعان به في كل صغير ة وكبيرة فهو الغني وغيره مفتقر إليه. وهو القوي وغيره ضعيف ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(النحل : 17- 21).

والمتأمل في المنهج التربوي النبوي يلاحظ تخلق الرسول ﷺ بهذا المقام فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول : **«اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»**(1).

ويلاحظ أيضا أن الرسول ﷺ ربّى أصحابه على ذلك : «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...»(2).

وقال الله عز وجل : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(غافر:60).

وإن المتأمل في الآية المذكورة :﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة:186)، يلاحظ :

1- **أن فيها تخصيص وتكريم للعباد**، فالله عز وجل ينسبهم لنفسه "عِبَادِي". ليسوا عباد دنيا أو جاه أو سلطان أو دينار وإنما عباد الله تعالى. هؤلاء العباد هم الذين تشملهم معية الله وحفظه ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ..﴾(الحجر :42).

فمن هم عباد الله الذين يستحقون هذه الأكرمية؟ وما هي صفاتهم؟ يجيب رب العزة عن هذا السؤال في سورة الفرقان. من قوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا...﴾ إلى قوله..﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾(الفرقان : 77).

"هذا مقام العبدية العالي! مَقَامٌ ولا كأي مقام! مقامٌ عظيم بالذلة، غني بالفقر! مُكْتَفٍ بالله جمالاً وجلالاً!

"عباد الرحمن"، إضافة ولا كأي إضافة! وانتساب ولا كأي انتساب! فالخلق كلهم عباد الله طوعا أو كرها! أما هؤلاء فإنما هم "عباد الرحمن"! رَغَباً ورَهَباً، وشَوْقاً ومَحَبَّةً!

"عباد الرحمن"، إنه تعبير خاص، وسمة خاصة! فيها من التقريب الرباني والتحبيب الرحماني، ما ليس في غيرها من الإضافات العَلَمِيَّةِ والوصفية إلى الأسماء الحسنى"(3)

2- حين يكون الواحد منا يعمل تحت إمرة رجل غني، أو له جاه أو سلطة أو نفوذ معين فإنه يشعر بحماية وقوة ذلك الشخص تظلله! فكيف إذا كان سيدك هو رب الأرباب خالق الأكوان!

عباد الله تعالى يستمدون من الله جل وعلا وجودهم وقوتهم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...﴾(الزمر : 36).

3- الله قريب من عباده يسمع نجواهم ويعلم خفاياهم. مطلع على أحوالهم وخباياهم ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾.

4- الله عز و جل يضمن الإجابة و تحقيق المراد ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(غافر60).

5- الاستجابة لله من مقتضيات إجابته الدعوة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

فاستجب يستجب لك.

1- حديث صحيح رواه مسلم 2717

2- رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (7957)

3- أنظر رعاك الله كتاب "مجالس القرآن" -لفريد الأنصاري -ج 01 ص241 مدارسة سورة الفرقان المجلس الثالث عشر. وفيها من البصائر لولوج بوابة معارج الروح واكتساب أساسيات المنهج للمؤمن في الدين والدعوة.

شرح الأربعين الأدبية (16)

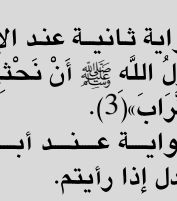

د. الحسين زروق

في حثْوِ التراب في وُجُوه المدَّاحين

روى الإمام مسلم عن هَمَّام بن الحارث «أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه- وكان رجلا ضخما - فجعل يحثو في وجهه الحَصْبَاءَ. فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُم المَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِم التُّرَابَ»(1).

وفي رواية أخرى أن سعيد بن العاص «بعث وفدا من العراق إلى عثمان فجاؤوا يثنون عليه»(2).

فقيه أن المدح من لدن جماعة لمسؤول/لخليفة.

والنص بروايتيه السالفتي الذكر من قسمين:

حديث نبوي هو محل الشاهد.

وتطبيق له من لدن المقداد.

وقد ورد الحديث النبوي بروايات مختلفة:

ففي رواية ثانية عند الإمام مسلم «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ المَدَّاحِينَ التُّرَابَ»(3).

وفي رواية عند أبي داود «إِذَا لَقِيتُم»(4) بدل إذا رأيتم.

ولئن اختلفت الروايات في مطلع الحديث، وصيغة التكليف النبوي، فقد اتفقت في أمور:

أولها الحديث عن المداحين.

وثانيها استعمال اللفظ في صيغة المبالغة مسندا إلى جمع المذكر السالم. (المداحين)

وثالثها الموقف الرافض لسلوكهم.

ورابعها التعبير عن ذلك الرفض بحَثْو التراب في وجوههم.

وخامسها الخطاب الموجه لجماعة المسلمين.

وسادسها ربْطُ كلِّ ذلك برؤية المداحين أو لقائهم، أي بممارستهم العلنية للمدح، فتنتج عن ذلك معاينة بالرؤية أو اللقاء.

ومن تلك الأمور المتفق عليها نولي حديثنا شطر ثلاثة اتجاهات: اتجاه المداحين، واتجاه التراب، واتجاه الموقف.

أما لفظ المداحين فتُستفاد من صيغته أمور:

أولها المبالغة في المدح؛ لأن اللفظ في جميع الروايات وردَ بصيغة المبالغة (المدّاحين).

وثانيها انتشار المدْح؛ إذ الأمر يَتعلق بممارسة جماعية، لا بممارسة فرْد (اللفظ مسند إلى الجمع).

وثالثها أن المدْح صار ظاهرة؛ لأنه يُرى، ويمارسه جماعة، وهم يبالغون في المدْح.

وأما لفظ التراب فقد استُعمل في الحديث النبوي وسيلة لفعْل الحثْو، وظاهر الحديث أمْرٌ للمخاطَب أن يُبادر بحثْو التراب في وَجه المادح، ومنه يُفهم أنَّ حَثْو التراب طريقة للتعبير عنَ الموقف من ظاهرة المدح، والمبالغة فيه، وفي ممارسته من لدن عدد من الناس.

وأما الموقف مِن المداحين فيُفهم مِن أمْر النبي ﷺ مَن رآهم أو لَقيهم أنْ يحثو في وجوههم التراب، فهو رفْض لهذا السلوك ولهذه الظاهرة، ولكنه ليس مجرد رفض، أو رفض معبر عنه بِقول، بل هو رفض معبر عنه بفعل.

ويظهر من القسم الخاص بالتطبيق في نص البَاب أن المقداد أخذ بظاهر الحديث، وأنه حالما رأى مدّاحا جَعل يحثو في وجهه الحَصْبَاءَ، وهذا أحد الفُهوم، وهو على كل حال مرتبط بظاهر النص.

وهناك فَهم آخر للنص ينظر إلى مقاصده، وهو أنه لما كان المدْح قد ارتبط لدى كثير من العرب بالرغبة في الحصول على عطاء، كان الجزاء بعكس ذلك، ومن ثم فُهم الأمر بحَثْو التراب في وجوه المداحين بأنه أمر بردهم وتخييبهم وعدم إعطائهم، «كما يقال للطالب المردُود والخائب: لم يَحْصل في كفّه غير التراب»(5)، وكثيرا ما تستعمل العرب التراب للتعبير عن الفقر وشدة الحاجة(6).

وسواء أتعلق الأمر بظاهر الحديث أم بمقاصده فإن الثابت أن ظاهرة المدّاحين غيْر مَقبولة في المجتمع المسلم، ولما كان سلوكهم قد انتقل من الحالة الفردية إلى الممارسة الجماعية فَشكَّل ظاهرة اتسمتْ بالجماعية والمبالغة فقد صارت الجماعة المسلمة مُطالبة بالتحرك لمواجهة تلك الظاهرة، ومن ثم كان الخطاب موجها للجماعة ليكون التكليف الجماعي مناسبا لنوع التَّفَلُّت وحجمه.

على أن تكليف الجماعة برفض المداحين وتخييبهم لا يلغي المبادرة الفردية في هذا الاتجاه، فقد تصرف المقداد بمفرده كما في نص الباب، وتصرفه الفردي يجد تبريره في كون الآخرين لا علم لهم بالحديث كما يُفهم من قول عثمان له: «ما شأنك؟».

بقيت إشارتان:

الأولى هي أن الحديث النبوي يتحدث عن الموقف من المداحين أثناء مدحهم، ولذلك ورد في رواية مسلم في حديث الباب «أن رجلا جعل يمدح عثمان»(7)، وفي رواية عند أحمد «أن سعيد بن العاص بعث وفدا من العراق إلى عثمان فجاؤوا يثنون عليه»(8)، مما يعني أن حثْوَ التراب في وجوههم كما هو ظاهر الحديث أو تخييبهم كما فهم من قصده مرتبط بزمن ممارسة المداحين للمدح، لا بملاحقتهم في الحياة اليومية كما قد يُفهم من «إذا رأيتم» أو «إذا لقيتم» الواردتين في بعض الروايات كما مر.

والأخرى هي أن في الحديث عن المدْح بقية، وسيأتي مزيد حديث عنه من زاوية أخرى بحول الله.

1- صحيح مسلم، 102/18، حديث رقم 3002، ك.الزهد، ب. النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط.

2- مسند أحمد، 139/17، حديث رقم 23714، وقد علق عليه محققه حمزة أحمد الزين بقوله: «إسناده صحيح».

3- م.س.

4- سنن أبي داود، 254/4، حديث رقم 4804، كتاب الأدب، باب في كراهية المدح. وقد صححه الألباني.

5- النهاية في غريب الحديث والأثر، 184/1، مادة «ترب».

6- لسان العرب، 231/3-230، مادة «ترب».

7- صحيح مسلم، 102/18، ح.ر 3002، ك.الزهد، ب. النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط.

8- مسند أحمد، 139/17، حديث رقم 23714.

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

الطريق تحيي يا عباد الله ولا تقتل

الآن وقد استحالت معارك الطرقات العزلاء إلى حرب شاملة تهدد حياة الآلاف من المواطنين ومن كل الأعمار بالموت أو التشوهات الخلقية الجسيمة، وأمام المعالجات الفلكلورية والسطحية التي ظلت تغطي هذه المجازر لسنوات وسنوات دون تغيير يذكر، يحق لنا أن نطرح ذلك السؤال الجوهري في عملية إصلاح حقيقية : **ترى أين يكمن الخلل؟؟..**

كيف تتعدد حملات التوعية مرات وحملات الزجر والوعيد مرات أخرى ويظل عدد الضحايا بين قتلى ومعطوبين في تزايد مريع . كيف لا تُكبح كل هذه السيناريوهات الإذاعية والتلفزية الضمائر والقلوب الغافلة أو القاسية، كيف يعرش شخوصها يوميا على شاشة التلفاز من خلال وصلات الإشهار بملامحهم الذاهلة أمام برك الدماء الراكدة وصور السيارات المنبعجة ؟؟ ويظل الحال على ما هو عليه؟؟.

وبعيدا عن هذه الأسئلة التقليدية الأشبه بجعجعة بلا طحين تعالوا بنا نقرب عدسة التمحيص من هذه السيناريوهات التي تؤثث الفضاء البصري للراكبين والراجلين كما تؤثث فضاء الفرجة ببيوتهم تحت يافطة السلامة الطرقية ، ونطرح أسئلة أكثر صدقا وجرأة :

ألسنا أمام مقاربات علمانية صرفة تجتهد في فصل هذه الظاهرة الوبائية عن مسبباتها الحقيقية بل عن سببها الحقيقي وهو غياب الخوف من الرقابة الإلهية ؟؟. ولنأخذ على سبيل المثال تلك الجملة الأثيرة التي تتكرر في وصلات الإشهار حول حوادث الطرق والتي تقول إن الطريق تقتل .

ترى هل الطرق تقتل حقا أم هي مكاسب أيدينا من ذنوب ومعاصي؟؟

وبتفصيل وتوضيح أكبر دعونا نتوقف على سبيل الذكر عند السيرة الذاتية لكثير من مستعملي الطريق ونخص منهم بالإشارة أصحاب الشاحنات الكبيرة،ولا أخال أحدا يجهل حقيقة ما يجري في الكثير منها ليلا بل وحتى نهارا، إذا يستقبل سائقوها بائعات الهوى بصندوق الشاحنة الخلفي ويحيلونه إلى وكر لممارسة الرذيلة، ناهيك عن السكر وإطلاق نفير الموسيقى الرديئة ..!!

وغير بعيد عن مظاهر الفساد هذه، وإذا ما اقتضت ظروف سفر ما استعمال الطريق سواء منها العادية أو المؤدى عنها، فستصعق المرء بلا شك نوعية العقليات الرابضة خلف المقود لكثير من السائقين، فمن السرعة القصوى إلى احتناك الهاتف المحمول إلى القيادة الحلزونية التي لا تعبأ إلا بقانون هواها فلا أضواء حمراء أو خضراء إلا تلك المرسومة في دماغها، ناهيك عن زعيق الديسكو داخل السيارة الشبيهة بحانة متنقلة.

وفي سياق آخر من سياقات الفساد المتناسلة، تطالع المسافر بين المحطة والمحطة سحنات متوفزة لنساء يحركن أصابعهن بإشارة "أوتوستوب"، تلك الإشارة اللعينة التي تحيل على عشرات المقالب التي أودت بالكثير من"فاعلي الخير" إما إلى المشافي لاعتداء مفاجئ أو إلى أقسام البوليس.

دون أن ننسى تلك الوقفات المشبوهة لرجال فاسدين يتحرشون بالفتيات العابرات على الطريق، دون أن يرف لهم جفن أمام زعيق السيارات المحتجة ..

ومن جهة أخرى تستوقف الملاحظ تلك الطرق المحفرة التي تحيل على أسطوانة الترميم المرافقة للانتخابات والتي تتجدد عند كل حملة انتخابية ويخبو صخبها مع الدقائق الأخيرة لانتهاء هذه الحملة، في تجرد غريب ومفجع من الخوف من الرقابة الإلهية والتنكر الصريح للمسؤولية وتبعات الأمانة والوفاء بالوعود والعهود.

ولأن الأمثلة في هذا الموضوع لا تعد ولا تحصى، فنكتفي بالقول إن هذا الختم على القلوب والضمائر والتجرد الجلي من الحس الديني واستحالة الطريق إلى فضاء للزنى ونصب الكمائن للمغفلين والمنحرفين وغياب مفهوم التقوى الذي يحفظ للطريق مهامه ووظيفته الدينية والحضارية يجعل غضب الله عز وجل ونقمته تتخذ ألوانا وأصنافا أشد تنكيلا وتعذيبا

يقول سبحانه وتعالى : ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم**﴾(الأنعام : 66).

وقال تعالى : ﴿**فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون**﴾(العنكبوت : 40).

إن استعمال الطريق في المفهوم الإسلامي الراشد يقتضي مصداقا للحديث النبوي الشريف غض البصر وإماطة الأذى عن الطريق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استحضار روح الأذكار الخاصة بالركوب والمركبة والطريق تسبيحا وتحميدا وسؤالا للمعية الربانية وحفظها من سوء المنقلب في النفس والأهل والقرية المراد السفر إليها مع التبرؤ من الحول والقوة إلخ..

وكما أسلفنا فإن ارتياد الطريق غدا مطية لتجريب كل أنواع المنكرات. وبالمناسبة فإذا كان برلمانيونا في الأيام الأخيرة قد تعرضوا لكل أنواع السخرية والإهانة لمجرد تنبيههم وهم على متن طائرة إلى لقطات ماجنة فتحت عليهم باب الجحيم العلماني، فإن عربات وحافلات نقل المسافرين المزودة بأجهزة الراديو والتلفاز لا تني تسيء لمبادئ الدين الإسلامي بعرضها لأشرطة غنائية وفيديوهات بصرية خليعة لا يتخلص منها المسافرون إلا وهم يتدحرجون إلى المنحدرات القاتلة وألسنتهم تلهج بالدعاء بلا جدوى ..

وإذا كان أول الغيث قطرة فإن حملة التوعية الدينية بمخاطر الطريق التي أطلقتها وزارة الأوقاف من خلال المساجد يجب أن تدعم بحملة شمولية تجعل الدين في صلب هذه الحملة، أشرطة ولوحات إشهارية وفيديوهات إلخ ..ويجب التصدي الفكري والمجادلة بالتي هي أحسن مع كل من يسعى في تحويل بلاد المسلمين إلى فضاءات من الفوضى المعممة بمحاصرتهم للدين وللمنسوب الأخلاقي الذي يحصن العباد ضد نوازع الفساد وإشاعة الفاحشة، ولابد من التعجيل بإحداث برامج ووصلات إشهارية تدعو إلى التشبث بالقيم الأخلاقية والإيمانية وتحث أبناء الأمة على التخلق بأخلاق الحياء والعفاف،وصدق الصادق المصدوق حين قال في الحديث النبوي الشريف بأن **الحياء لا يأتي إلا بخير**. وقد ضاع الحياء وضاع معه كل الخير بل وخيرية الأمة في الكثير من بلاد المسلمين .. ولا حل إلا بالعودة إلى الطريق ، وأنها لن نقول بأن الطريق تقتل ، بل الطريق تحيي مصداقا لقول الله عز وجل : ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**﴾(الجن : 16)، وقوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم..**﴾(الأنفال : 24).

إية المرأتين.... (تتمة)

2- المرأة المسلمة تسترجع حريتها بمجرد نطق الزوج بطلاقها ولا يحل له فيما بينه وبين الله إمساكها ومعاشرتها.

بينما الزوجة اليهودية لا يعتد بطلاقها ولا تتخلص من سلطة الزوج إلا إذا كان الطلاق بحضورها وحضور شاهدين وحكم المحكمة بذلك(12).

3- المرأة المسلمة من حقها أن تتزوج بمجرد انقضاء عدتها متى شاءت بينما المرأة اليهودية لا يمكنها الزواج إلا بعد تسلم رسم الطلاق -الكيط- من يد الزوج شخصيا عن رضا وطواعية. ولا توجد سلطة ترغمه على تسليمه لها(13) وبذلك يستطيع منعها من الزواج ويفرض عليها أن تعيش كالمعلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة ترجو الزواج برجل آخر.

4- أن المطلقة المسلمة تتمتع بحقوقها كاملة بما في ذلك حقها في السكنى والصداق المؤخر والمتعة مهما كانت أسباب الطلاق بين المرأة اليهودية تسقط حقوقها بطلاقها في بعض الحالات (حالة الزنا)(14).

5- الأم المسلمة أحق بحضانة أطفالها حتى تتزوج البنت ويبلغ الابن ما لم تتزوج كما قال ﷺ : «أنت أحق به ما لم تنكحي»(15)، بينما الأم اليهودية لا حق لها في حضانة أطفالها إذا بلغو السنة من عمرهم ويحق للأب نزعهم منها(16).

1- مجلة القضاء والقانون المغربية ص 184.
2- انظر مقال ألي مالكا في مجلة القضاء والقانون المغربي ص 193.
3- نفسه.
4- نفسه.
5- انظر ما كتبه ألي مالكا في مجلة القضاء والقانون ص 194
6- نفس المرجع 194.
7- متفق عليه.
8- مجلة القضاء والقانون ص 191.
9- نفس المرجع : ص 186.
10- سنن أبي داود 250/2.
11- عن مقال للسيد ألي مالكا مجلة القضاء والقانون ص 189.
12- نفس المرجع ص 187.
13- نفس المرجع ص 187.
14- نفس المرجع ص 186.
15- رواه أبو داود 283/2.
16- عن مقال السيد مالكا ص 189.

العنف الأسري.... (تتمة)

قط فينْتَقِمَ من صاحبه، إلا أن يُنتَهَكَ شيء من محارم الله فينتقِمَ."

يقول الله عز اسمه: ﴿**ومن ايَاته أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(الروم: 21).

الزواج ألفة وقرب، مودة ورحمة، سكن ومحبة، بهذا يتحقق الاستقرار والأنس والاطمئنان وفي هذا الوسط يتربى الأبناء، فتتكَوَّن بذلك أُترجة الأسرة وريحانة المجتمع جيل المستقبل وأمجاد الأمة وأبطاله.

فرباط المحبة والرحمة والرفق والحنان هو الذي يجمع القلوب ويوثق الصلات ويسعد الحياة.

﴿**خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ : المرأة الزوج جزء من الرجل الزوج، وكل جزء دليل على أصله فالمرأة دليل على الرجل، والرجل دليل عليها، فحب الزوج لزوجته وحنينه إليها من باب حنين الكل إلى جزئه، وحب المرأة لزوجها من باب حنين الجزء إلى الكل... وهكذا يتحقق بينهما التكامل.

و﴿**خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ : من جنسكم لا من جنس آخر أزواجا ذكرا وأنثى. ليألف كل واحد منكما صاحبه، ويميل بعضكم إلى بعض، فإن الجنس إلى الجنس أميل، والنوع إلى النوع أكثر ائتلافا واستئناسا وراحة؛ فالاشتراك في الجنسية من أسباب التآلف. وكما يقال:"إن الطيور على أشكالها تقع". وجعل بينكم التواد والتراحم بسبب الرباط الشرعي رباط الزواج.

● **تفعيل التشريعات التي تحمي من العنف الأسري** وتبسيط إجراءات التقاضي بما يحقق الإسراع في إغاثة الملهوف.

● **تفعيل دور الحكمين** إن كان في دورهما مصلحة وإنقاذ للغريق، عملا بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾(النساء: 35).

● **تأسيس مؤسسات اجتماعية إسلامية تهتم بقضية العنف العائلي**، وتحاول القضاء على أسبابه، وتهتم بالضحية وتخفف من آلامها ومعاناتها...

● **الرقابة على الإعلام وتوظيفه لتوعية الأسر بالنتائج الوخيمة للعنف** على الأسرة والمجتمع، وتقديم الدواء الناجع للمشكلات الزوجية والحد من أسباب انتشار العنف، ونشر الثقافة الضرورية عن الحياة الزوجية والحياة الجنسية قبل الزواج وبعده لا لنشر أفلام العنف التي تسهم في العنف العائلي...

- بذل الجهود لتفادي بعض الأسباب الداخلية الموصلة إلى العنف العائلي.

وخلاصة القول:

ولنا في سيدنا رسول الله ﷺ إسوة حسنة؛ روى الإمام ابن سعد رحمه الله في طبقاته **أنه ﷺ أرسل وصيفة له فأبطأت، فقال: «لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك!»** تهديد فقط وبالسواك!

ومن يريد أن يبني أسرته على غير أساس الإسلام وأخلاقه كمن يروم أن تلد له الفأرة غزالا!

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وحفظت فرجها، وأطاعت ربها، دخلت الجنة» (رواه:.....)

بماذا تتجملين؟

سئلت امرأة مؤمنة: بماذا تتجملين؟ فقالت:
أستخدم الصدق لشفتي، والقرآن الكريم لصوتي، والرحمة والشفقة لعيني، والإحسان ليديَّ، والاستقامة لقوامي، والإخلاص لله تعالى لقلبي.
● ألف قصة وقصة من حياة الصالحين ، القصة 350.

من صفات المرأة عند العرب

سئل أعرابي عن النساء، وكان ذا هم بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئا جَوَّدت، التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الولود، التي كل أمرها محمود.
● أخبار النساء : ابن الجوزي.

فخر نساء العرب

خرجت العجفاء بنت علقمة السعدي مع ثلاث نسوة من قومها، فاتَّعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر، وليلة طلقة ساكنة، وروضة معشبة خصبة، فلما جلسن قلن: ما رأينا كالليلة ليلةً، ولا كهذه الروضة روضة أطيب ريحًا ولا أنضر.
ثم أفضن في الحديث، **فقلن: أيُّ النساء أفضل؟**
– قالت إحداهن: الخرود الودود الولود(1).
– قالت الأخرى: خيرُهنّ ذات الغناء، وطيب الثناء، وشدّة الحياء.
– قالت الثالثة: خيرهنّ السَّمُوع، الجَموع، النفوع، غير المنوع.
– قالت الرابعة: خيرُهنَّ الجامعة(لأهلها)، الوادعة، الرافعة، لا الواضعة.
قلن: فأيُّ الرجال أفضل؟
– قالت إحداهن: خيرهم الحظيُّ الرضيُّ، غير الحظال، ولا التبال(2)
– قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم، ذو الحسب العميم، والمجد القديم.
– قالت الثالثة: خيرهم السخيُّ الوفيّ الرضي، الذي لا يغير الحُرَّة، ولا يتخذ الضرّة.
– قالت الرابعة: وأبيكنَّ إن في أبي لنعتكنَّ كرم الأخلاق، والصدق عند التلاق، والفَلَج عند السباق، ويحمده أهل الرفاق.
– قالت العجفاء عند ذلك: **(كل فتاة بأبيها مُعجبة)**، فَسَيَّرَتْها مثلاً يضرب في إعجاب المرء برهطه وعشيرته وسائر ما ينسب إليه .(وللقصة رواية بألفاظ أخرى ذات معاني جليلة في سمو ذوق المرأة العربية نباهة وذكاء وفخرا وبلاغة).

(1) الخرود : المرأة الحيية والبكر لم تمس .
(2) الحظال : المقتر الذي يحاسب أهله بما ينفق عليهم , والتبال : صاحب التوابل وبائعها وليس بظاهر، ولعله مبالغة من تبله بمعنى ذهب بعقله أو أسقمه وأفسده أو من تبلهم الدهر أي أفناهم .

نساء عابدات

قال رجاء بن مسلم العبدي: كنا عند عجردة العمية في الدار، قال: فكانت تحيي الليل صلاة، وربما قال: تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السحر، نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار، يستبقون رحمتك، وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم.
ثم تخر ساجدة، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطل الفجر !
● صفة الصفوة: 30/4.

هذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر!!

حكى عبد الرحمان عن الزبير بن بكار وكان من العلماء وصاحب مكتبة يظل منهمكا فيها، قال : قالت أختي لأهلنا: خالي خير رجل لأهله، فقالت لها : ولِم؟ قالت : لأنه لا يتخذ ضرة، ولا يشتري جارية، فأجابتها زوجتي: والله لَهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر !!

أسوأ منك من أحوجك للسوء...!

حكي أن شعيب بن حرب أراد أن يتزوج امرأة ، فقال لها : إني سيئ الخلق، فقالت : أسوأ منك خلقا من أحوجك إلى أن تكون سيئا، فقال : إذن أنت امرأتي.
● أخبار الأذكياء.

امرأة تحسن الشكاة عن حالها

قال الأصمعي أتت امرأة حاكم بن عبد الله، فقالت له: أتيتك من بلاد شاسعة ترفعني رافعة، وتخفضني خافضة، لملمات من الأمور حللن بي، فبرين لحمي، ووهنَّ عظمي، وتركنني والهة كالجريض، قد ضاق بي البلد العريض، هلك الوالد، وغاب الوافد، وعدم الطارف والتالد، فسألت في أحياء العرب عن المرجو سببه، المحمود نائله، الكريم شمائله، فدللت عليك .. وأنا امرأة من هوازن، فافعل بي أحد ثلاث: إما أن تقيم أودي، وإما أن تحسن صفدي، وإما أن تردني إلى بلدي، فقال لها : بل أجمعهن إليك حبا وكرامة.

حرص امرأة على زوجها

أسلمت أم حليم بنت الحارث رضي الله عنها زوجة عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح ، وفرَّ زوجها إلى اليمن، وكان النبي قد أمر بقتله لِمَا كان قد فعله ضد الإسلام وبالمسلمين.
استأمنت أم حكيم رضي الله عنها النبي الكريم ﷺ لزوجها فلحقت به، وأمرته بالإتيان إلى رسول الله ﷺ وقبول الإسلام، فلم تزل به حتى تحقق بفضل الله تعالى ما أرادت.
● ألف قصة، قصة رقم 959.

أنا وإياك في الجنة

قال أبو الحسن المدائني: دخل عمران بن حطان يوما على امرأته. وكان عمران قبيحا ذميما قصيرا، وجدها قد تزينت، وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينيه جمالا وحسنا وازداد بها إعجابا، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت : ما شأنك؟ فقال: لقد أصبحت والله جميلة! فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة، فقال : ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أُعطيتَ مثلي فشكرتَ، وابتليتُ بمثلك فصبرتُ، والصابر والشاكر في الجنة.
● كتاب الأذكياء.

امرأة تفرض على القاضي أن يبتسم قبل أن يحكم

حُكي أن موسى بن إسحاق القاضي كان لا يرى مبتسما قط، فدخلت عليه مرة امرأة تشكو أمرا همها، فقالت له : أيها القاضي: لا يحل أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان، قال: ولِمَ؟ قالت: لأن النبي ﷺ قال: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان»، فتبسم.

أم سليم تعرض الإسلام على زوجها

ذكر الحافظ ابن عبد البر أن أم سليم رضي الله عنها كانت تحت مالك بن النضر في الجاهلية، فولدت له أنس بن مالك، فلما جاء الله تعالى بالإسلام أسلمت مع قومها، وعرضت الإسلام على زوجها، فغضب عليها، وخرج إلى الشام، فهلك هناك.

أخرسها الوفاء

قال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم: فقلت : أخرساء هي؟ فقيل لي: لا ، ولكنها كان زوجها معجبا بنغمتها فتوفي، فآلت على نفسها أن لا تتكلم بعده أبدا.
● أخبار النساء : ابن الجوزي.

امرأة أصابت ورجل أخطأ

قال عبد الله بن مصعب: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ، وإن كانت بنت غصة ، يعني يزيد بن الحصين الحارثي، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة: ما ذاك! ، قال : ولِمَ؟ قالت لأن الله عز وجل قال: ﴿وءاتيتم إحداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا﴾(النساء: 20)، فقال عمر : امرأة أصابت ، ورجل أخطأ.
● ألف قصة من حكايات الصالحين والصالحات، قصة رقم :26.

مثل المرأة الصالحة والمرأة السيئة

يروى أن داود عليه السلام قال لابنه سليمان: "يا بني إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك، والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير"
● بهجة المجالس.

وصية زوجة لزوجها

كانت زوجة توصي زوجها دائما قائلة له: "أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، بر أمك، صل رحمك، لا تقطعهم فيقطع الله بك".
● صفة الصفوة.

أمثال عربية عن المرأة:

لا تعدم الحسناء ذاما
لو ذات السوار لطمتني
كل فتاة بأبيها معجبة
القول ما قالت حذام
قطعت جهيزة قول كل خطيب
الصيف ضيعت اللبن
رمتني بدائها وانسلَّت
تجوع الحرة ولا تأكل بثديها
أبصر من زرقاء اليمامة
إياك أعني فاسمعي يا جارة
بالأرض ولدتك أمك (يضرب للمتكبر تذكيرا له بأصله)
ليست النائحة الثكلى كالنائحة المكتراة.

رثاء أعرابية لولدها

قال الأصمعي: مات لأعرابية ولد كان بها بارا، فما زالت تبكي حتى خدَّد الدمع خدها، ثم استرجعت، فقالت: اللهم إنك علمتَ فرط حب الوالدين لولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببِرِّه، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضَضْتَه على طاعتهما، اللهم إن ولدي كان من البر لوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما، فاجْزِه مني بذلك صلاة ورحمة، ولقِّه سرورا ونضرة،
فقال لها أعرابي: نعم، ما دعوت له لولا أنكِ شِبْتِه من الجزع بما لا يجدي.
فقالت: **إذا وقعت الضرورات لم يجز عليها حكم المكتسبات**، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه، ولا في القدرة منعه، والله ولي عذري بفضله، وقد قال عز وجل : " فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله عفو غفور".
● أخبار الأذكياء.

من الأجوبة المسكتة:

حكى الجاحظ فقال: رأيت امرأة جميلة وكان يزين وجهها خال، فقلت لها : ما اسمك؟ قالت مكة، فقلت: أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود منك؟ قالت : لا! إلا بالزاد والراحلة!

العنف الأسري واقع وآفاق

د. رشيد كهوس

لقد انتشر العنف العائلي في مجتمعاتنا انتشار النار في الهشيم. مما كان له نتائج سيئة وانعكاسات سلبية على الأسرة والمجتمع.

فيا ترى ما هي أسباب هذا الانتشار؟ وما هي أهم الحلول للحد من انتشاره؟ وهذا ما سأتناوله في هذه المقالة.

1- من أسباب العنف العائلي :

يمكن لنا أن نجمل أهم أسباب العنف العائلي فيما يلي:

- **البعد عن هدي القرآن والسنة النبوية** الشريفة وأخلاق السيرة النبوية العطرة.
- انهيار التربية على الإسلام وأخلاقه ورحمته ورفقه..
- الانحرافات الأخلاقية: تناول المسكرات والمخدرات يؤجج الخلافات العائلية ويؤدي إلى العنف.
- البيئة الفاسدة التي تصور العنف وكأنه أمر طبيعي..
- البيئة التي يسود فيها العنف (الأسرة-المجتمع)، فانطبع ذلك في ذهنيته مما يجعله عرضة لممارسة العنف في كبره.
- بعض التصورات الخاطئة الناتجة عن سوء التربية التي تتصور أن استخدام العنف يجعل المرأة الزوج أكثر طاعة وانقيادا، أو تتصور ارتباط العنف بالرجولة والشهامة.
- بعض الأمراض النفسية التي تفقد الزوج عقله.
- البطالة، والفقر، وغلاء الأسعار، وتوتر أعصاب الكثير من الأزواج...
- التأثر بمشاهدة الأفلام العنيفة.
- سعي بعض أقارب الرجل الزوج... أو المرأة الزوج للإفساد ما بين الزوجين. وقد شدد سيدنا رسول الله ﷺ النكيرَ على من حاول إضرام النار ليفسد ما بين الزوجين. روى الإمام أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من خَبَّبَ زوجة امرئ أو مملوكة فليس منا». خبب: أي أفسَد. بأي وجه كان ذلك الإفساد.

- استفزاز المرأة لزوجها ومحاولة التقليل من شأنه واحتقاره وانتقاد تصرفاته أمام الآخرين مما يدفعه إلى الانتقام والعنف.

ولسبب من الأسباب السابقة تجد الكثير من "الرجال" يأخذ زوجه بالظنة ويتهمها بمجرد تحسس وتوجس، ومنهم من يتخذ بعض التفاسير لنصوص شرعية متكأ لإظهار شجاعته وقوته فيقرأ في بعض التفاسير أو يسمع من بعض المفسرين"أن بعض الفقهاء يجيزون الضرب ما دون كسر العظام"، فيمزق ويضرب ويشتم دون أن يكسر لها عظما!. ويقرأ أو يسمع عن طاعة الزوجة لزوجها فيلوي عنق النص فيتأله ويظلم ويشتم، فتنقلب العشرة الزوجية من معاني المحبة والمودة والرحمة إلى علاقة الجلاد بضحيته، والمالك في ملكه.

أو تجد "الرجل" ممن لا يظهرون قوتهم وشجاعتهم إلا في بيوتهم فيأتي مشحونا من الخارج (الغضب، سوء تصرف مدير عمله معه...) فيفرغ شحناته في بيته مع زوجه وأولاده.

أو تجده ممن يحصون أخطاء زوجته فينتفخ انتفاخ الهر لمجرد تغير ذوق طعامه فيضرب ويعنف.

أما المرأة العنيفة التي انساقت وراء هواها وتخلت عن شريعة ربها...فإن عنفها ناتج عن مرض في نفسها أو للتربية غير السليمة التي تلقتها، أو أنها عاشت في أسرة عنيفة وبيئة فاسدة، أو أنها صاحبة جاه ومال، أو أن شخصية زوجها ضعيفة، أو تكون هي العاملة والمتحملة لنفقات البيت فيدفعها ذلك إلى العنف والطغيان، أو قد يكون عنفها بسبب رد فعل، أو لما تشاهده في الأفلام فتتأثر بالنساء القويات، إضافة إلى وجود بعض حالات الانحراف (تناول المسكرات والمخدرات)...

2- العنف العائلي أنواع:

يمكن تقسيم العنف العائلي إلى الأنواع الآتية:

أ- العنف النفسي: وهو الذي يتعلق بالأذى النفسي: كالسب والشتم والإهمال والإيذاء العاطفي، والتحقير، وسوء الظن، والتخويف، والتهديد بالطلاق، والإحباط، وإجبار الفتاة على الزواج دون رضاها،... فهذا النوع من العنف يحطم شخصية الفرد، ويزعزع ثقته بنفسه وينقص من قدراته...

ب- العنف الجسدي : وهو الذي يتعلق بالأذى الجسدي وتتنوع أساليبه وأشكاله بين: الضرب، والركل، واللكم، وشد الشعر، والصفع، والدفع، وخدش الوجه، وتكسير العظام، وإسالة الدماء، وتمزيق الجلد، والخنق،...

ت- العنف الجنسي: كإجبار الزوجة على الاتصال الجنسي، أو التهديد بالقوة لتحقيقه، أو استخدامه للإيذاء، أو الهجر من قبل الزوج، أو إجبارها على القيام بأفعال جنسية لا تقبلها، أو إجبارها على ذلك وهي حائض...

3- النتائج الوخيمة للعنف العائلي:

إن العنف العائلي يشل حركة الأسرة، ويجعل من الصعب على أعضائها القيام بمهامهم، إضافة إلى ما يسببه من أمراض نفسية وجسدية سواء للمعنف عليه أم الأطفال الذين يشاهدون ذلك: أمراض الصدر، الشعور بالخوف، الشعور بالفشل والإحباط...

أما المرأة المعنفة فإن عنفها يجعلها غير قادرة على تربية أبنائها تربية سليمة، وقد تجنح إلى ضرب أبنائها وكراهيتهم...

وعليه، فإذا كانت العشرة الزوجية جحيما لا يطاق، وإذا كان البيت يسوده التناطح والعنف والظلم... فالنتيجة واضحة كما رأينا ذرية ضعيفة معوقة... والذي لا يرضَى أن تكون ذريته هكذا ومريضة نفسيا، فليحسن معاشرته لأهل بيته ويكون قدوة لأبنائه... والذي لا يحب تلك الصفات الرديئة الدنيئة في أبنائه فليعمل على تلافي أسباب تكونها في بيئته. يفعل ذلك رحمةً بأبنائه وذريته من بعده.

4- الإسلام ينبذ العنف بكل أنواعه وأشكاله:

إن من مبادئ الإسلام الرحمة والرفق والعنف يتعارض مع هذا المبدأ السامي، لذلك يرفض الإسلام العنف بكل أشكاله وأساليبه وأنواعه المادية والمعنوية داخل الأسرة وخارجها: يقول الله عز اسمه: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 263) ويقول الحق جل وعلا : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(آل عمران: 159)، ويقول الله تقدست كلماته: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(الإسراء: 23).

وقال رسول الله ﷺ : «**عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش**»(رواه الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في صحيحه، كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف**»(مسند الحارث، كتاب العلم، باب حسن التعليم).

وعَنْ عَائِشَةَ أم المؤمنين رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق).

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ**»(رواه الإمام أحمد في مسنده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ**»(رواه الإمام الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين). وهذا الحديث هو أول حديث يتلقاه طلاب العلم بالسند المتصل عن شيوخهم لأجل ما يدعو إليه ويحض عليه، وهو أول حديث رويته بسند متصل عن شيوخي وسمعته منهم، ويسمى الحديث المسلسل بالأولية..

ولذلك فالعنف يعارض روح القرآن الذي يحض على الرحمة، ويعارض سنن سيدنا رسول الله ﷺ القولية والفعلية عن الرحمة والرفق.

والعنف يتعارض مع الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية الغراء لحفظها: حفظ الدين، حفظ النفس، وحفظ العقل...

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»(حديث حسن، رواه الإمام الترمذي، في سننه، كتاب البر والصلة، باب فيما جاء في رحمة المسلمين).

5- ما هو الحل إذن؟

لابد لكل أسرة من سند تعتمد عليه ومرجع تصوغ منه حياتها، وليس ذلك إلا القرآن الكريم، ولابد لها من نموذج تحذو حذوه، ومن منوال تنسج عليه، وليس إلا رسول الله ﷺ في سيرته وتخلقه بالقرآن الكريم، فهي قدوتنا وأسوتنا وقوتنا، وهو روح ونور ورحمة وفضل. وهو نموذج خالد كامل لكل من يبحث عن السعادة الخالدة له ولأسرته، ما عليه إلا أن يسير على المنهاج النبوي في المعاشرة الزوجية، ويتأسى بسيد الوجود ﷺ في معاملته لأهل بيته.

روى الإمام مسلم وأبو داود عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت: "**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قطُّ بيده، ولا امرأةً، ولا خادما. إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نِيلَ منه شيء**

تتمة : ص13

بِنَبْضِ القلب

مصالحة الذات

أثبت التاريخ أن الإبداع الذي يخاصم الهوية ويتهجم على قيم المجتمع الذي ينتمي إليه... الناس بسرعة، وينمحي من ذاكرة الأمة ووجدانها في فترة قصيرة، حتى ولو بدا للحظة أنة يحظى بإعجاب الجمهور والنقاد، في حين أن الفن الأصيل الذي يحفر في وجدان الأمة يظل راسخا في ذاكرة الناس لفترة أطول حتى ولو حاربه أدعياء الحداثة والمنبهرون بكل ما هو هجين وخلاسي الأبعاد، تتذكر كيف استطاع فيلم "روما مدينة مفتوحة" للمخرج الإيطالي "روسيليني Rossilini" أن يقلب تاريخ السينما العالمية، وهو الذي لم تتعد كلفته 5 ملايين ليرة إيطالية، ولم يعتمد فيه المخرج على نجوم كبار، بل إن معظم أبطاله كانوا مغمورين، منهم من وقف أمام الكاميرا للمرة الأولى، كما أن لغته جاءت بسيطة وفي متناول العامة والخاصة.

وتحكي قصة الفيلم عن فتاة إيطالية تذهب بعد الحرب العالمية الثانية إلى ألمانيا لقضاء عطلتها، وعند بوابة الاستقبال بالفندق تجد حارسا عجوزا، وهو يهش لاستقبالها تتذكر أنه ذلك النازي الذي استقدمه الفاشيون الإيطاليون لتعذيب معارضي موسيليني، والتي كانت هي أيضا ضحية لهمجيته، وتنطلق أحداث الفيلم لتروي أفظع الجرائم التي ارتكبها نظام موسيليني حليف ألفُوهْرَر هتلر في حق الشعب الإيطالي الذي زج به في حرب طاحنة لا تبقي ولا تذر.. مشاهد مؤثرة جداً وحبكة عالية، وديكور بسيط يساهم الممثلون في توفيره من بيوتهم، ولكن بروح الوطنية العالية جعلت من هذا الفيلم الأرخص من حيث التكاليف، أيقونة السينما الإيطالية والعالمية. وحديث النقاد طوال الثمانينات من القرن الماضي وخاصة الأوسكارات... بينما نجد بعض محترفي السينما ببلادنا سامحهم الله يلهفون أموال الدعم لينتجوا لنا مسخا لا علاقة له بهمومنا وكأنه يتحدث عن مغرب آخر لا يوجد إلا في مخيلاتهم المريضة.. نحن في حاجة إلى مصالحة مع ذواتنا، مع شعوبنا مع أوطاننا التي منحتنا زرعها وضرعها، وقبل أن نخط شيئا أو ننتج فيلما لا بد من التفكير في إنساننا المسبي، وتاريخنا المنسي، وهمومنا الثقافية، قبل التفكير في أقوال النقاد وجوائز المهرجانات، والمشي فوق السجادة الحمراء الذي قد يتحول إلى مشي جنائزي تدفن من خلاله هويتنا وثقافتنا وحضارتنا.

ذ. أحمد الأشهب

خلاصة السيرة النبوية لابن هشام

نصوص ودروس(4)

إقامته ﷺ رضيعا في بني سعد

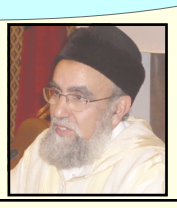

أ.د. الشاهد البوشيخي

أ-قال ابن اسحاق:

«كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية. أمُّ رسول الله ﷺ التي أرضعته، تُحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابنٍ لها صغير تُرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرُّضَعَاءَ، قالت: وذلك في سنة شَهْبَاءَ، لم تُبق لنا شيئا. قالت: فخرجت على أتانٍ لي قمراءَ (القُمرة بضم القاف: بياض فيه كُدرة)، معنا شارفٌ لنا (الشارف: الناقة المسنة)، والله ما تَبِضُّ بقطرة (اي ما تسيل ولو بقطرة)، ومانَنام ليلنا أجمعَ من صبيِّنا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثدْيَيَّ ما يُغنيه، وما في شارفنا ما يغذِّيه-قال ابن هشام: ويقال: يغذيه- ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجتُ على أتاني تلك فلقد أَدَمْتُ بالركب (أي جعلتهم يدومون مدة اطول في الطريق) حتى شق ذلك عليهم ضُعْفًا وعَجَفا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأةٌ إلا وقد عُرِض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها أنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمُّهُ وجدُّهُ ! فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صَوَاحِبي ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه؛ قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على اخذه إلا أني لم أجد غيره. قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رَحْلي، فلما وضعتُهُ في حجْري أقبل عليه ثدْيَايَ بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شَارِفنا تلك، فاذ إنها لحَافِلٌ (اي ممتلئة الضرع)، فحَلَبَ منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رَيًّا وشبَعًا، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تَعَلَّمِي والله يا حليمة، لقد أخذت نَسْمَةً مباركة (اي نفسا طيبة)؛ قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبتُ(أنا) أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعتُ بالرَّكْبِ ما يقدر عليها شيءٌ من حُمُرِهِم، حتى إن صَوَاحِبِي ليقلن لي: يابنت أبي ذؤيب، ويحك! أَرْبِعِي علينا (انتظرينا)، أليست هذه أتانَك التي كنت خرجت عليها؟ فاقول لهنَ: بلى والله، إنها لهي هي؛ فيقلن: والله إن لها لشأنا. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدبَ منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شِبَاعاً لُبَّناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضَرْع، حتى كان الحاضرون (غير المقيمين بالبادية) من قومنا يقولون لرُعْيَانِهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرَحُ راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح اغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لُبّنا. فلم نزل نتعرَّفُ من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاهُ وفَصَلْتُهُ، وكان يشِبُّ شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جَفْرًا (اي غليظا قويا). قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرصُ شيءٍ على مُكْثِه فينا، لما كنا نرى من بركته. فكلمنا أمَّهُ وقلت لها: لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يَغْلُظَ، فإني أخشى عليه وَبَأَ مكة (مرض الطاعون بها)، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا» (السيرة1/162-164)

ب- ممايستفاد من النص:

1- أن من أسباب ظاهرة الاسترضاع شدة حاجة البدو إلى الرزق. وذلك ما جعل النساء في سنة شهباء يرتزقن بالأُذَاء فيخرجن يلتمسن الرضعاء مسافات ومسافات.

2- أنه لا مفر من قدر؛ فلقد كان مقدورا لحليمة السعدية أن تُرضع رسول الله ﷺ :أَبَتْ أخذَهُ فيمن أَبَيْنَ، وأعرضت عنه فيمن أعرضن ليُتْمه، ولكنها في الأخير اضطُرت إليه اضطرارا(فما منا امراة إلا وقد عرض عليها.. فتاباه إذا قيل لها إنه يتيم.. فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري.. والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه.. وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره).

3- أن بركته صلى الله عليه وآله وسلم كانت تحل في كل مايتصل به فيتحول بإذن الله العزيز الحميد من النقيض الى النقيض!.

- الثديان اللذان ليس فيهما ما يغني الوليد يقبلان عليه ﷺ بما شاء من لبن فيشرب حتى يروى ويشرب معه أخوه حتى يروى وينام. وما كان يُنام معه قبل ذلك من الجوع!.

- الشارف التي كانت ما تبض بقطرة تصير في الحال حافلا ممتلئة الضرع، تشرب من حليبها حليمة وزوجها حتى الانتهاء ريا وشبعا!.

- الأتان التي كانت تؤخر الركب لضعفها وعدم قدرتها على السير، صارت بعد ان حُمل عليها «مايقدر عليها شيء من حمرهم»! حتى إن صواحب حليمة قلن لها: «أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟.. والله إن لها لشانا»!.

- أرض بني سعد التي لا تعلم حليمة «أرضا من أرض الله أجدب منها» تسرح فيها أغنام حليمة فتروح شباعا لبنا، يحلب منها ويشرب وتسرح فيها أغنام غيرها-وحيث تسرح أغنامها- «فتروح جياعا ما تبض بقطرة لبن»!

4- أنه من البداية صلى الله عليه وآله وسلم كان قوي البنية ممتلئا، اذ «كان يشب شبابا لايشبه الغلمان؛ فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا». **والبدايات اساس النهايات**.

5- أن فضل الله عز وجل فيه الغناء عن كل ما سواه؛ فها هو اليتيم الذي كره أخذه أولا، وقيل فيه زهدا فيه: «وما عسى ان تصنع امه وجده؟» يحرص على مكثه وبقائه اشد الحرص، لما ظهر «من بركته» حتى لتكلم حليمة أمه آمنة قائلة استبقاء له: «لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وبأ مكة». وما هي بخاشية عليه -والله اعلم- وبأ مكة، وإنما هو الحرص على استمرار «البركة».

فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد.

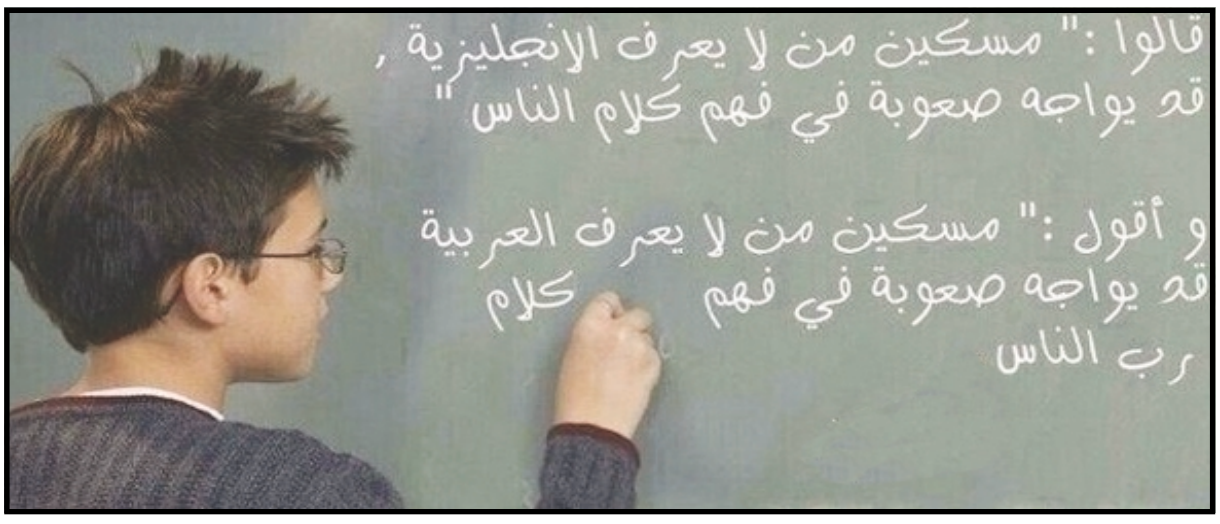

إلى أن نلتقي

العربية وظلم أهلها

قبل أيام فاجأني سائح ياباني وهو يسألني بلغة عربية فصيحة عن بعض الأماكن في فاس، منها جامع القرويين، مستفسرا عن الفرق بين جامع القرويين المسجد، وبين جامعة القرويين المؤسسة الجامعية، وهل هما شيء واحد.

بعد الجواب دفعني الفضول إلى أن أسأله عن علاقته بالعربية وكيف تعلمها، فبين لي أن هناك ثلاث مؤسسات جامعية كبرى في اليابان تُعنى بالدراسات العربية والإسلامية تدريسا وبحثا وتأطيرا.

ليس هذا الشخص الياباني الوحيد الذي التقيته ممن يعرف العربية، فلقد سبق أن التقيت بأساتذة جامعيين يدرسون العربية في اليابان والصين وتايوان، وكوريا وروسيا وغير ذلك من الدول.

جرَّني الحديث معه إلى شجون البلاد والعباد وخاصة ما يتعلق بالعربية، إذ عبر لي عن خيبة أمله، وهو يتجول في ربوع المغرب، في أنه لم يجد كثيرا ممن يتحدث معه بالعربية الفصيحة، فهو حينما يسأل يجيبونه بلغة غير مفهومة -على حد تعبيره-. حاولت أن أبين له الفارق بين الفصحى والعامية معجما وتركيبا، فقاطعني قائلا أنا أفهم هذا، وأعرف أن هناك فرقا بين العامية والفصحى. وذكر لي مجموعة من ألفاظ الدارجة المغربية التي استوعبها في أيام قلائل، ثم أردف قائلا: المشكل هو في الألفاظ الفرنسية.

حاولت أن أخفي الصدمة، فسكت وأنا أتأمل ملامحه الأسيوية. ثم قال: نحن في اليابان كان لدينا أطياف من الشعب خلال القرن الماضي تميل إلى بعض اللغات الأجنبية، وخاصة الانجليزية، لكن الآن الأمر انتهى تماما، ليس هناك ياباني واحد يقبل بديلا عن لغته الوطنية، مع العلم أن اللغة اليابانية تضم أكثر من عشرة آلاف رمز، وحينما يكون التلميذ في المرحلة الإعدادية لا يعرف في أحسن الأحوال أكثر من ألف رمز.. إنها رموز تحفظ لكي تستطيع القراءة والكتابة باليابانية، معنى هذا أنها لغة صعبة ولكننا فخورون ومعتزون بها.

قلت له أليس هناك تفكير على الأقل في تغيير هذه الرموز التي تعد بالآلاف إلى حروف محدودة معدودة كما في باقي اللغات الأخرى ليصبح تعلم اللغة اليابانية ميَسَّرا.

أجابني "نعم كان بعض هذا أيضا في القرن الماضي، لكن الآن لا أحد يفكر في هذا، الكل معتز بلغته كتابة وتعبيرا. نعم في لغتنا عدد من الحروف لكن أغلب ما نستعمله رموز، وهي بالآلاف كما قلت لك".

محدثي هذا هو أستاذ جامعي أيضا، يتقن العربية بشكل جيد، ومعجب بجماليتها، ويحاول التعمق فيها، وأخبرني أنه اشترى كتبا لهذا الغرض.

دفعني الفضول مرة أخرى إلى أن أسأله مثل ماذا؟. قال : مثل كتاب "الخصائص" لابن جني، وكتاب "الصاحبي في فقه اللغة" لابن فارس، وكتاب "الفروق اللغوية" للعسكري.

مرة أخرى أخفيت صدمتي بابتسامة إكبار لهذا الرجل، كنت أتوقع أن سيذكر لي كتبا من قبيل "كيف تتعلم لغة كذا في خمسة أيام بدون معلم" فإذا بالرجل يهتم بدقائق اللغة لا بعمومها.

بقدر ما سَرَّني هذا اللقاء بأن وجدت من يهتم بلغة القرآن ممن لا تربطه بها أي صلة حضارية، آلمني هذا الواقع المحبط الذي آلت إليه هذه اللغة التي شرفها الله تعالى بأن اختارها لسان كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حتى غدت لا تستقيم على جل الألسنة، بل حتى الألسنة العامية الدارجة التي هي فرع عن اللسان الفصيح ومُعينٌ على فهمه وإدراكه غَدت هجينا في أقبح صورة تمجها الأسماع والأذواق السليمة، لما خالطها من الألفاظ والتراكيب الدخيلة، حتى أصبح الدخيل غالبا على الأصيل.

ومما يجعل الأمر أكثر إيلاما أن أغلب هؤلاء لا يشعرون هول هذه الكارثة اللغوية, ولذلك فإن الكل مدعو إلى إيقاظ الهمم لتدارك هذا الخطر، قبل أن يدلهم الخطْبُ ويتسع الرتق على الراقع.

إن مستقبل الأمة الحضاري رهين بلغتها التي تقرأ بها، فبنقاء هذه اللغة تضيء الحضارة أكثر، وبهجنتها تهجن الحضارة أيضا -إن كانت هناك حضارة-، وتختفي منها بصمة الهوية اللغوية الخاصة بهذه الأمة.

د. عبد الرحيم الرحموني